زهير أبو سعد

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the author Zohir Abu Saad.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الكاتب زهير أبو سعد.

عنوان الكتاب: كيندوم شرقي
اسم المؤلف: زهير أبو سعد
مقدمة: شروق المسالخي

الطبعة الأولى 2019 م

© جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة للكاتب زهير أبو سعد

رقم الإيداع : 2019/3817
Literar-Mechana

طُبع في مطبعة Expressprint

رواية

كيندوم شرقي

زهير أبو سعد

مقدمة

الكاتب: زهير أبو سعد

العنوان: كيندوم شرقي

ربما وأنت تقتني الرواية ينتابك شعور الفجأة والذهول تتردد كثيرا قبل أن تطال أصابعك دفتي الكتاب وأول ما يخطر في ذهنك سؤال ما هذا العنوان؟... تفكر بطريقة الحرص أين تقرأه بعيدا عن متناول الأنظار، ربما يحتوي على رسائل تخدش الحياء، او صور يفسد بها عقول بعض الناس أكثر مما هي فاسدة، تسأل وتجاوب نفسك ألف مرة وكأن في رأسك قنبلة تكاد تنفجر في أي لحظة من الحيرة. لكن يا عزيزي الموضوع يتضمن قضية الوجود بعيدا كل البعد عما يخطر في ذهنك من أوهام جنسية ولكن عبر طريق الجنس خلقت كوارث وجودنا.....

فهذه المرة لقد رش الكاتب ملحه على جراحنا ليحرقنا وينزفنا أكثر مما نحن نعاني منه من ألم، وأكثر ما نعاني منه في هذه الحياة هو وجودنا بالأصل، فكل منا يحمل في جوفه معاناة لا يعلم بها الا رب هذه البشرية، والمصيبة بأن بعض الفئات البشرية رغم فقرها وقلة حيلتا وجوعها وحقوقها المنتهكة أو بمعنى أدق حقوقها التي لم تعرفها قط وأن لا أصلها لها مذ لحظة وجودها

على هذا الكوكب وكل ما تفكر به هذه الفئة هو حقها بالإنجاب ولله الحمد أن الرجل والمرأة ينجبون أطفال وما شاء الله ويملئون المنزل بالفرح السرور ويعم الحرمان في الأرجاء، وتزداد أرقام المجاعة رقما تلوى رقم وبالمقابل أيضا يزداد رصيد أصحاب الجمعيات الخيرية رقما يليق بحساباتهم، فهم بارعون بالتسول باسم المولود الجديد تحت عنوان الأيادي الممدودة لمساعدة الفقراء والمساكين، فالبعض يسرق ليمتع غرائزه برفاهية. أما أولئك المساكين إن سألتهم لماذا تنجبون الأطفال بهذه الكثرة وأنتم على هذا الحال من القهر المعيشي؟ وبعد سؤالك هذا أنتظر جواب يليق بتطاولك على غرائزهم وكأن غضب الله قد صب على رأسك. ليش يعني؟؟؟ من أجل كبر الآباء والأمهات، يحملونهم بكبرهم..... وهؤلاء الأطفال منذ الصغر بالكاد يحملون أعباء أنفسهم، يعملون ليلا نهارا من أجل كسرات من الخبز. أما عن كبرهم هذه الكلمة لا تعرف معناها الا عندما تزور مأوى العجزة ستجد من كانوا يفتخرون بخلفتهم يتنزهون داخل سور ذلك المأوى. لاا لازم نخلف حرام تحديد النسل وإن سألتهم عن كيفية التطهر والغسل من حدث إنجازات النسل، يقفون أمامك محدقين ليقولون لك كفاك تعقيدا للأمور ما هذا الذي تتكلم عنه. نعم فعلا أنه تعقيد وجودنا. ما رب العالمين بقول (المال والبنون زينة الحياة

الدنيا) لقد قدم الله تعالى في آيته الكريمة المال على البنون لأن البنون لهم حق ليوم الدين على ما كان السبب في وجودهم.... لا أن ننجبهم ثم نتركهم لعين الشمس ترعاهم لقد خلقنا ولم نر أي مولود خلق وخلقت رزقته معه. صدق الله وضاع المتفكرون أولي الألباب الذين استعملوا الواقي لعقولهم بدلا من تحديد نسلهم خوفا على جهلهم من أن يخرج منهم ويتهمونهم بأنهم بشر فكروا ثم عاشوا بسلام ذاتي وغرائزي ونفسي. فكلما فكرنا بطريقة سليمة كلما صلح المجتمع التوازن جميل بكل شيء سواء بالتكاير أو بغيره نحن نستطيع بفكرنا تغير هذا الكون والتحكم بأنفسنا حتى لا نخضع أو نسمح لأحد بالتحكم بنا نحن خلقنا أحرارا، والعبودية ليست لنا، فضحية الفقر والعدد الكبير من أكوام اللحم الموجودة في منزل بطل الرواية (كريم) جعلت منه مجرم مغتصب، وبالوقت نفسه ضحية جثة هامدة بعمر الزهور خلدت تحت التراب جائعة محرومة من الحياة عندما كانت على قيد الحياة، والجريمة الأكبر الذي أقترفها الآباء لحظة إشباع غريزية فرضت على المساكين الوجود، فكريم ليس فقط بطل على الورق فهو بيننا وفي مجتمعاتنا.

شروق المسالخي

إهداء

{ لا أحد يستحق أن أهدي لهُ جُهدي ، و لا حتى أنا }

ثقوب متراشقة لكل سهم..

مقاسات عدة ممتدة لكل لذرة..

جموح و شروخ و شهقة و سكتة تباغت الذات بعد كل لذة، و لكأنه انتصار على النفس التي لم يعرف أحد مصدرها ، عليك أن تقتحم مواسير الذات حتى تنقب عن بصيص نبض يخفق في ذاك السراب الهائم ، عليك أن تعرف أن النصر حالفك ذات لذة حتى وقعت شهيدا في سبيل الحياة ، و ما معنى أن تقضي الحياة في عرضها و طولها معتوها مصلوبا من أجل دقائق تقضيها على فراش الحب و من بعد ذلك يأتي من ينادك بصوته الناعم:

بابا..

أو مثلا:

ماما..

ما معنى أن تتعلق بك تلك النقطة الضوئية البيضاء التي انحدرت من صلبك ربما عن غير قصد يا كذاب أو بقصد! ، ما معنى لك هذا المعني الغير منطقي.. !

تريد أن تكون شبحا يسبك و يسب أباك و أبا أباك ذاك الطيف الذي يأتي من بعدك! ، فلتكن ما شئت، و لكن لا تنجب لنا هذه القطعان البشرية المغطاة بكل أقنعة الجهل والتخلف ، فنحن ولله الحمد عندما ما يكفي و زيادة..

نريد نطفا جديدة مثلا، نريد نقطة ضوئية تحولنا من جفاف إلى بحر متمايل بالطاقة و الجبروت الرحيم ، نطفة من صلب له مقاسات مختلفة عن هذا العالم مثلا كأن تكون فسفورية تحمل طاقات عفوية فيها من الدفء ما يكفي لهذا الظلام الدامس الذي يحيط بهذا الكون..

في أغلب الأحيان أدقق في تلك النطف الغريبة الأطوار التي أضحت بعد تغيرات من الزمن لها أطراف أربعة تقوم بأشياء عقلانية و أخرى جنونية كبيرة إلى حد تجعلك تفقد عقلك كليا..

محشو بالأفكار والفلسفات التي لا تنتهي، مغمس بالتعجبات والاستفهامات التي تطاردني أينما رحلت وحللت، تجمعني بها تلك الكلمات المنتشرة فوق غطاء عقلي قواسم مشتركة مثلا أنا من فصيل الكلمات المقاطعة التي أريد أحد أن يجمعني بها ، أو أن يجمعني بذاتي ..

أن تجتمع يوما من أيام السنين العجاف على مائدة الحقيقة و على شرف العقل فهذا ضرب من الجنون ، ستتهمك الحشرات التي تلتهم الخبز و الجبن المبستر بالهستريا ، لأنك في الحقيقة أنا فتحت نافذة أنت بغنى عنها و عن أوكسجينها الذي تعتقد بأنه سينعشك بل إنه سوف يقتلك و يقتل مستقبلك العفن..

كل يوم أسير في العاصمة فيننا وحيدا في الحي السابع إلى مقهاي المفضل ، حاملا على كتفي جهازي المحمول لأدون ما يوحيه إلي عقلي،

و في بعض الأحيان أقل المترو إلى قلب الحي كي ألقى تلك الابتسامة الرقيقة في واجهة صباحي:

صباح الخير أستاذ..

لم يعد مهما الصباح و الخير المتخلل في شراييه أبدا ، المهم أن تراقب بحذر تلك المخلوقات الأليفة العقلانية التي يطلق عليها : البشر..

و لأنك قشة في جبال القش هذا أحذر أن تقترب إلى لمعان القش و تخدع به ، فربما أو على الأكيد ستحترق و تحرق من حولك و أنت لا تشعر أو ربما بقي لديك قليلا من ذروة مشاعر..

كثبان من الرؤوس المعلقة بالأجساد الهشة ، مسافات و فواصل في تلك الطرقات المعبدة لناقلات البشر ، مقاسات عدة للابتسامات و فتحات الشفاه تتسكع على الأرصفة ، و أجساد غير متوازنة تشعر بأنها مختلة وغير متوازنة بحاجة إلى ميك آب كي يعاد ترميمها..

لا تحول أن تقترب إليها ، تراها من بعيد كالأرانب الرقيقة ، أليفة حد أنك ستغر بها ، محلول بها كل ما هو جميل ، تلمع و تبرق و يصدح بها رنين يغري الجوف و يسحب منه سواده القاتم..

في الحقيقة إنها قنابل مؤقتة تسري حيث أرزاقها كي لا تأكل بعضها بعضا ، مطور بهم أنظمة تجارية أو أنظمة ظالمة كي تبقى على قيد الحياة و لو أنصفت الحياة جيدة لوجدت بأن الخلود للأفكار السوداء فقط،

و الأفكار الرقيقة فإنها ستدفن مع أهليها ، السؤال يطرح نفسه في كل منحدر قبر..

هل أنت من أهليها !؟..

أنت من ذاك السراب الصامت الذي لا يقوى على أن يقوى ، و لكن في النهاية ستحسب من أهل التقوى لأنك من نظام يبحث عن استقرار حتى لو كان في جوف إبرة..

ما معنى أن تكتب عن سراب !؟

ما معنى أن لا تكتب أصلا.. !

المعنى الحقيقي أنك تخشى من الفناء ، من الزوال الذي لم نعد نسمع عنه حتى و لا في الكتب ، بعد ألف عام من الميلاد بدأ المؤرخون ينقبون عن بصيص أمل عن حياة كانت فيما مضى هنا.. !!

و الآن !؟

بقيا عظام حمتها الأعشاب ، كانت هذه العظام لأنثى حامل بشهرها السابع ، في بطنها تراب يتهاوى حيث العجب ، و العجب العجاب بأن العلماء وجدوا حلا لكل عظمة دفنت على وجه الأرض سابقا كي يقولوا لنا كم من الزمن مضى عليها !؟

هل هذا إنجاز بالله عليكم !؟

الحاضر غارق بالشر و لا زال علماء التاريخ ينقبون لنا أن رأس الخيط ، و ما يفيد رأس الخيط و كل الخيط متشابك بالعقد و الترهات..

لم تعد تصلح مؤتمرات المؤرخين الفارغة ، لم يعد يصلح التنقيب عن الماضي ، كيف لنا أن نتخلص من الماضي يا ترى ! ، كيف لنا أن ننسى تلك المسافات الكاذبة التي لم تنجب لنا سوى وحلا من الدماء و الأشلاء تحت مسميات عدة.. !!

إنها العدة التي تجلس بها المرأة المسلمة ثلاث أشهر و عشرة أيام تحت سنة حدها النبي محمد من غير أن يعرف ما هو السبب ، إنه السبب الوحيد الذي خرج به علماء الأمة أنها ممكن أن تكون حاملا أو بها شيء منه.. !!

و التي كبر سنها و لم تعد تصلح لا للحيض و لا للبيض !؟..

الصمت خير دليل على إخراسنا..

صمتنا مع أن هذه القاعدة ليس لها أهمية أبدا..

هناك أطنان من السوائل المنوية لم تعد تعرف طريقها ، هناك سيول من السوائل البيضاء كما نحن نعتقد أخطأت أو لعلها خاب ظنها بأنها سوف تنجو من المجاري التي تسري تحت الأرض ، في الحقيقة أريد أن أعد خطابا للسوائل المنوية حتى لا تظن بأنها قليلة حظ..

في الحقيقة إن النطفة المنوية التي لم تصب الهدف فإنها و لعمري قد نجت :

أيتها السوائل المنوية التي تجوب مجاري الكرة الأرضية..

أيتها الأحشاء السوداء المنتشرة في الظلام الدامس ، يا من حملتي هم تلك الأطنان المكدسة من المحلول الأبيض ، إن المعاناة الأكبر و التحدي العظيم الذي يجول في خاطرة كل نطفة ظلت طريقها نحو الهدف هو السير نحو السيل الجارف ، إن نهايتكم هنا نحو السراب و الظلام الدامس لا محالة ، و حتى أهون عليكم المصاب الجلل الذي وقعتم بهم ، أن لا فرق بينكم و بين تلك الأجساد المتآكلة تحت التراب ، تلك التي ظننتم بأنها نجت من لعنة الإبعاد نحو الهاوية ، إنهم في لعنة ما بعدها لعنة ، إنهم يعيشون في دوامة متشابكة متهالكة يدورون حول قضاياهم الهشه كما يدور الحمار حول الرحى..

إنهم بشر على هيئة حيوانات ناطقة ، بل إنهم ألزموا العقل لهم و غيرهم من المخلوقات هم عبيد و مسيرون لهم ، إن العقل البشري الذي أستخدم في ترسيخ القيم و الأخلاق السامية ها هو يكشف لثامه عن نواياه الخداعة..

نوايا زائفة عفنة متهالكة..

في الحقيقة هنا و على هذا المحك المظلم أريد أن أعترف لكم يا أيتها النطف الناجية من لعنة البويضات الخالدات في أحشاء الإناث بأنكم قد نجوتم من الأوكسجين و أشعة الشمس و ظلم البشر لبعضهم البعض..

إن بطن الأرض أرحم من ظهرها و فلسفتها المشبعة بالشر و الكراهية ، إن ما أنتم عليه الآن هو النعيم المقيم الذي يتمناه معظم بنبي البشر ، يمر احدهم بالقبور و يقول:

يا ليتي كنت مكانهم.. !!

هو يعتقد بأن الخلود داره و العمر المديد قراره..

و نحن نتعقد بأن الرحيل من كوكب الضوء هو كأس سيشرب منه كل الناس ، لا تحزنوا لأنكم لن تختاركم البويضات الأنثوية ، إن تلك البويضات المتعجرفة قد اختارت الغبياء السذج الذين لا يميزون بين الكاف و النون ، و جعلت منهم عقل كي لا ينتقص حقهم على أرض قسموها و ظنوا بأنها لهم حتى بعد موتهم ، فلا أحد منهم يفكر بالرحيل ، لأن تلك الخلايا المؤقتة القابلة للانفجار في أية لحظة مشربة بالطمع و الجشع ، أنتم وحدكم من أختاركم الظلام الدامس لتنجوا من هذه اللعنة..

أما نحن لنا خطبة أخرى مفادها:

أما بعد..

يا أيتها العقول المتورمة بالعنصرية و الطمع و الجشع و حب الذات و المكان و الزمان ، عيشوا بأطماعكم و لا تنسوا بأن البويضات التي أختارتكم هي واحات من الجحيم عليها و على أهليها و عليكم..

لا عليكم لطالما أن الحياة أختارتكم لها و لأحشائها المشبعة بالمطامع و المغريات ، هل أعجبكم ها الوجع بكل موازينه الرثة !؟ ، طبعا لا أحد

سوف يجيب أبدا ، لأن الإجابات على فراغات تركت للمسلمات و الخطوط الحمراء تعد جحيم من طراز آخر..

الطرف الآخر هم أناس مثلكم ، لو دققتم جيدا لوجدتم بأن تلك المخلوقات المتشابكة الأطراف أو لعلها متنافرة أو بل بالفعل إنها غريبة الشكل و المنطق و الشر ، هم أناس كانوا فيما قبلكم عبارة عن نطفة لزجة خرجة من أقذر مان و انغرست في أقذر ثقب عرفه التاريخ..

ولو دققتم مليا لوجدتم بأن هذه المخلوقات التي لم تكن ترى بالعين المجردة هي محلول مركب من شرور ، بت أسأل نفسي لماذا هذه المخلوقات تتكاثر بالجماع لا بالهبة من الله ، و من يسأل الله في لحظة من اللحظات جعلوا من الخالق بعبع كبير يخيف و يقضي و يسفك الدماء من أجل فيئة من الفئات و الفيئة الأخرى أيضا لها نصيب من تركة الله التي لا تنفذ..

هو الذي عنده مقاليد السماوات و الأرض و حشى أن تنفذ خزائنه و تفرغ رفوف رحماته ، و من قال بأنها تنفذ ، هم الذين قالوا ذات جنون بأن الله تعب ، و قالوا قوم آخرين بأنه ترك رسله و أتباعه يتعذبون و لم يجد لهم سبيلا..

قالوا بأن الله يختبر الحواشي التي تدافع عن سدة ربوبيته..

و هل بحاجة لأتباع كي يدافع عن تلك السدة و يراق على أعتابها الدماء و يبتم آلاف من الأطفال و ترمل ملايين النساء من أجل ماذا !؟..

من أجل نطفة قذرة أقنعت هذه النطف بأن الله عاجز عن إنقاذ سدته العليا و أن كان لزاما عليهم نصر الله و القوم المؤمنين ، إنه الواقع المرير الذي شق هذا الكون شقين ، شقين لا بد أن يشقا رغما عن كل هذه الخزعبلات ، و كلما أضحى شق جديد زاد العداء و الطمع و الحلو الذي يسبق الآخر ليس من أجل الحلو يا حلو..

بل من أجل السرقة و النهب و اللصوصية..

عندنا لصوص من كل الأنواع ، لصوص مبسترة و لصوص تازة يا غادة و لصوص مجمدة و لصوص على حسب الطلب ، كلها لو دققت عليها جيدا لوجدت بأنها كانت قبل أن تكون على هذه الحالة نطف لا ترى بالعيون التي يسيل منها لعاب الطمع و الجشع..

إنه نطف قابلة للانفجار في أية لحظة ، قنابل من لحم و دم مسحوب منها دسم الإنسانية وجددت للطمع و الجشع و القتل و الذبح و السفك و النهب و ابتلاع كل ما يباع و يشترى من أجل أن يكون له فيلا خاصة على أحد سفوح الجبال العالية ، إنها نطف تحب العلو في الأرض..

و الأرض لها هواية أخرى أيضا ، لها عدداها الذي يهز و يشق و يحرق و يغرق ، و طبعا يذهب الحابل بالنابل من أجل نطفة فعلت الأفاعيل على سطح هذا الكوكب..

لا علينا من هذا كله ، إن الأقلام الثائرة التي تدافع عن بقية النطف الضعيفة التي خرجت من ضعف ثم غلى الهواء الطلق أو إلى

الأوكسجين قد تعبت من التنظير و تشخيص الأمراض البشرية النفسية العالقة على كوكب الحياة..

هنا لا حياة لمن تنادي أبدا..

الحياة للأشرار فقط ، و الضعاف صنعوا ربا لهم كي يناجوه و ينادوه كلما أشتد عليهم الجوع و الألم ، ألم تدرك بعد بأن المناجاة من غير عمل هو غباء بحد ذاته..

حسنا ماذا سنفعل..!

لا تفعل شيء يا حبيب أمك ، خليك في بيتك نائم و شاحب و ضعيف و جبان و هائم تلم بالرحيل تارة و تهدد من حولك من ضعاف تارة أخرى.. إنها تارة أخرى كي تصحو من الموت المقنن الذي يعيش بك بمصطلحات عدة ، مثلا كأن تقول:

هذا أختيار الله..

لا أعتراض على حكم الله ..

هناك اعتراض واحد فقط على كل أحكام الآلهات التي سبقتنا و الآلهات التي أتتنا و الآلهات التي تنتظر ، هناك اعتراضات جمة لا تذكر و لا تحصى..

هناك شيء مؤلم يدعى التكاثر عن طريق الشهوة أو الجموح الحيواني أو ما يسمى الحب ، و الحب هنا بعد عدة تجارب قد مارسها بني البشر أكتشف بأنه مصيدة ذات شباك معقدة خلقها الإنسان من أجل سد ثغرة هو أعلم بها و أنا أعلم بما فيها من سواد ، إنها ثغرة يسعى إليها الإنسان لأنها أحد مقومات الحياة ، إنها فعلا ثغرة ، هكذا يراها الذكور و أما الإناث يعتبرون هذا الشيء آلهة ، آلهة لإشباع تلك الثغرة ، و كلما كان حجمها أكبر و كلما كانت ألذ و أطرى..

الإطراء في مقام التفصيل العلمي مرفوض بتاتا ، البحث العلمي بحاجة إلى حقائق حقيقية مبلورة واضحة ليست في جوفها هشاشة و لا زيغ ، و لكن الأدب العالمي في فروسية الكتابة جعل لكل جملة لذة ، كتلك اللذة التي يسعى إليها الإنسان و حتى الحيوان أيضا ، هناك بل هنا على هذا النقيض المتجانس قواسم مشتركة بين المخلوقات ، و لكن الطامة الكبرى هي العقل البشر ، إن هذا العقل لو رددناه إلى اصله لوجدنا بأن بدايته شهوة..

يهيج بها الإنسان كي يسد عطش هذه الثغرة أو يلجم أنفاس تلك الآلهة ، هنا على هذا الرف الشاسع من الوهم يفقد الإنسان عقله فالذكر يبحث

عن الثغرة و الأنثى تبحث عن الآلهة ، و تتم في حلكة الظلام الانقضاض على الفرائس ، و تسمى هذه المسميات في مصطلح البشر بل أغلب البشر عيب..

هناك من سماها شرف ، و هناك من سماها عورة ، و هناك من سماها عضو ، و هناك من سماها عيب ، و على أهل هذه المسميات أن يستروا تلك القطعة بعدة أساليب حتى يحافظوا على شهوتهم طبعا ، باسم الدين و العادات و التقاليد تقدس هذه القطع تحت الظلام و تعبد من دون الله بغير علم و بعلم و يسجد لها و يركع لماهيتها و يقدم سالفا و قبل أن ينقض عليها الغالي و النفيس من أجل اللحم النفيس ، و لو دققت جيدا لوجدت أن مصدر تلك الشهوة هو العقل البشري..

إن هذه القطعة القذرة التي أنجبت لنا أقذر خلق الله و أجملهم و محاسنهم أخلاقا هي في الحقيقة عبارة عن أداة لتتصافح الشهوات فيما بينها ، أي لو أردت أن أطلق عليها أسما لأطلقت عليها:

فاعل خير..

لا يسعني إلا أن أقول لهذه الأعضاء المختلفة الأشكال و الألوان إلا كلمتان خفيفتان:

شكرا و تبا..

يا سيدي هذه البوابات المتشابكة و المختلفة بتصاميمها لا تسمن و لا تغني من جوع ، إنها تشبع الرغبة و تشعرك بأنها هي و لا أحد غيرها من سينصرك على ما أنت به من مهزلة شرهة للشهوة..

و لكن هنا قصتنا تختلف جذريا..

قصتنا ليست مرتبطة بهذه الترهات التي يخشى كثير من الناس التحدث بها ، ربما لأنني أخذ هذه الأمور من منظور علمي بحت ، إن بطلنا صنعه الإنسان من أجل الوقاية من التكاثر الحيواني ، و من كثرة الحيوانات التي لم تعد تخاف الله فينا و للأسف الشديد لم نعد نميز بين الإنسان و الحيوان ، ربما التفكير سلبي و بعيد عن الحدود الإنسانية ، و من وضع هذه الحدود يا ترى !؟..

لا أعرف ، و لكنها مطابقة لمنطق الأخلاق بين بني البشر ، الاحترام المتبادل المطلق من غير أن تعرف ما يملكه الطرف الآخر من قدرات و أفكار و معتقدات ، يا جماعة كل شخص يعبد ما يريد من غير أن ينتقص أحد حق أحد ، كم تمنيت أن تغسل أيادي الآلهات من دماء أفكار البشر من أجل نصرتها.. !!

أية آلهة هذه التي تطلب من غنمها أن ينصروها ، فلتذهب تلك الآلهة تنصر ذاتها و أعمدتها الكاذبة و أوهامها اللعينة ، و لتترك هذه القطعان للعقل كي يفكروا ، نحن هكذا تماما لا يوجد لدينا ما يسمى مساحة بسيطة للتفكير و أطلاق الفكر للفضاء المتراكم ، ربما أمنا ما سيحصل لنا بعد

موتنا ، تلك الكذبة التي تدعى الخلاص من هذا الكوكب ، سوف ترى كوكبا آخر فيه ما تتمناه و تشتهيه ، نحن دائما بارعون في خلق العلاقات لنضع عليها فشلنا بكل براعة ، و من يمنعنا و كبيرونا أحمق أمهق له خطب رنانة يهز بها مشاعر من سويت بهم التراب و أضحوا هباء منثورا..

حمير و لكن الله ميزهم بأن لهم عقول مأجورة من أجل تمجدي فكرة هم بالأساس لا يعرفون فحواها و لا مداها ، فكرة مشبعة بالدماء و الكذب و الخيانة و الخداع و المكر ، و المروجون لها قد حبكوها جيدا و سدوا منافذ النقاش بها و أطلقوا عليها هذه حدود الله فلا تقربوها.. !!

ماذا !؟

حدود ماذا !؟ ، و العقل أين ذهب ، العقل هنا محاط بكل وسائل الموت و الدم و القهر ، يكاد يختنق من كميات الغباء التي راح ضحيتها أمم أمثالكم ، أمم غبية بلهاء تجر خبثها كغثاء السيل ، هم كثر و أكثر مما تتصور ، أعداد ضخمة بصور جميلة و أفكار رديئة ، يقفون على حافة الوهم ينتظرون المخلص الذي سينقذهم من لعنة الماضي..

تخيل معي أمم بالملايين عاكفة خلف ستار الخوف و الجنون و الجبن و الضعف مسيج حولهم الغباء و الرذيلة يصلون و يصومون و يرتادون الصوامع و يرتدون الصلبان و يقومون الليل و يتصدقون بالنهار لهم تماثيلهم الكاذبة الصامتة المتجمدة ، لهم منابرهم الماكرة الخداعة

المتآمرة ، يغوصون بأقنعة عدة من أجل أن يسرقون و ينهبون كما يحلو لهم ، لهم مجالس الخفاء و الرذيلة ، لسانهم الطويل من سور الصين العظيم ، يتفننون بالغيبة و النميمة و مضايقة بعضهم بعضا بالكذب و صنع الفخاخ ، النجس عندهم بول و خراء ، و الماء طهور و نعمة ، آذانهم مسورة بالوهم و الضياع ، الحق لديهم منبوذ ، و الجهل فيهم قائم، مهزومين في ماضيهم و حاضرهم و مستقبلهم ، لا تقوم لهم قائمة لأنهم أغبياء ، هم هكذا ينصبون على رؤوسهم أكثرهم مالا و قصورا ، و أهل الرأي و العقل في السجون قابعون و من هرب منهم في أصقاع الأرض غرباء ، نسائهم خط أحمر ، ليس من أجل النساء ، بل المرأة في حياتهم تشترى و تباع بأسماء و قوانين عدة ، و العدل..

يا حبيب أمك على العدل.. !!

لا تشكيلي ببكيلك..

تسألنا زمام المحاكم هل هم عادلون !؟

فتجيب المآسي : بل هم يصلون و يصومون و يتعبدون!!

تعيد لنا المحاكم سؤالها هل هم عادلون !؟

فتجيب المآسي : عن أي قوم تتحدثون !؟

فالمحاكم لها مخالبها و فمها القابض:

عن أهل الشرق و ما يفعلون ! ؟

يا سيدي إنهم أناس كاذبون..

بمقاسات لا يتصورها عقل و لا يستوعبها قلب..

كنت تتوقع في هذا المجال الخضم الجوي الفارغ من كل القصص الدرامية أن يكون بطل هذه الرواية عبارة عن نطفة مخلدة في جوف رجل ! ، أو بويضة عالقة في الآفاق تحت مكر أنثى..

لا يا حبيب أمك ليس هكذا.. !!

و إن كنت تعتقد بأن بطل هذه القصة شخصية خيالية من عالم الفنتازية فسأقول لك كما يقول أهل حوران:

فيا حلالي و يا مالي ، يا بعي ردوا عليا..

و إن كنت تبحث عن عثرة و تتقمص دور المتفحص الذي يبحث لي عن عثرة لغوية أو زلة فكرية:

فلي مخيلتي و أفكاري الخاصة ، فهذه الساحة الوحيدة التي أهرع إليها إن شد المجرمون بنادقهم أحي على القتال..

لا بنادق أحملها ، و لا تهديدات أندد بها ، إنها الكلمة و العقل الذي هز عرش الطغاة..

الكلمة التي أردت بها أن أرفع راية العقل و الفكر ، و كلما أردت أن أسل قلمي لمزني الشداد الغلاظ الذين يدعون الرحمة الذين يلتفون حول أنفسهم ، الذين يصفون أنفسهم رحماء فيما بينهم و على غيرهم غلاظ شداد ، هذه الثلة من الناس بحاجة إلى:

مصح نفسي..

إعادة تأهيل للحياة ، الحياة بحاجة من يزع الفكرة و يرد بها بفكرة ، فكرة مقابل فكرة ، إنا قاعدة الإقناع ، إما تقنعني أو أقنعك ، لا أقبل لغة السب و الشتم و التهديد ، هذه الفئة من الناس لم يتلقوا دروس الشجاعة و الأمان ، هذه الفئة من الناس بحاجة أيضا إلى مزيدا من الأمان لأن المجتمع عاقبهم و سحب منهم كل ما يدعو إلى الأمان..

في كثير من الأحيان أفكر بأمر المجرمين و اللصوص و قطاع الطرق و القتلة و أهل الرياء و التكبر و حتى المدسوسين للشر ، لم يسألهم أحد ما الذي جعلهم أن يفعلوا هذا الشر و الإجرام.. !!

كل ما في الأمر بأننا نحن مدانون لدى الحق لأننا في عين الحق نحن في قمة الإجرام ، نحن نسعد عندما يقتل القاتل أو يهان المجرم أو تسحب منه كرامته ذاك المتعالي على وجه هذه الأرض..

نحن و المجرمون و السارقون و القتلة في سرداب واحد.. !!

لماذا ! ؟

لأننا لم نحمل أحلامهم الطفولية بعين الرعاية ، رحنا نشتم و نسخر و نقلل من قدرهم حتى لجأوا إلى العتمة و الظلمة ، أنتم من أجبرتموهم على حب الانتقام..

أنتم السبب ، السخرية و حب الذات و الاستهزاء منهم بطريقة جارحة جدا ، متعبة عروق الذاكرة من التحليلات الشخصية ، متعبة الكلمات

من تخطي كل هذا القرف بجرة شر أو بشطبة قلم ، دعونا من هذا الظلام ، صفقوا لتلك الأفكار التي تحلم بالحب و الحياة ، و لا تكونوا شياطين أبدا..

يا سيدي أنا وصلت إلى مرحلة بأنني لم أعد أؤمن بالمهزلة البشرية التي ألقى عليها بني البشر أخطأهم ، المهزلة التي تدعى الشيطان.. !!

أين هو ذاك المارد الذي أنشأ الحروب و قلب الكون عليه سافله ، إن سافله الوحيد تلك الأكوام البشرية التي تدعى بني البشر..

لا شياطين سوى تلك الفئة التي تتخفى بالحضارة و هي تصدر آلاف من أطنان القنابل و الشر بحجج واهية كذابة ، تريدون أن نصدق أن هذا الأوهام هي الخيارات الوحيدة التي بنى عليها ضالتهم بني البشر..

لا أحياء على هذا الكوكب إلا ما ترونه بأم أعينكم ، أين هو ذاك المخلوق الذي جر هذا الكون إلى الهلاك ! ، لما تكذبون بنصوص أحضرتموها من زمن بيع العبيد و العتق و الطواف بأحجار و بيوت لا تضر و لا تنفع.. !!

جميعكم يحمل شرك الوهم و الخرافات و الكذب على القطيع ، جميعكم مجرمون في التفكير و إصدار القرارات و جعل الأمور تسير لصالح جيبكم و كراسيكم ، لا يوجد أحد في هذا الكون يملك عقلا راشدا أو ضميرا صاحيا لا يعرف الحق من الباطل أو الأبيض من الأسود ،

جميعكم ذاك النبي الذي بشر بأنه من أهل الجنة و هو ذاته ذاك الشخص الذي يرى بأن هذا الكون إلى جهنم و بئس المصير..

إنا في حضيض المصير ، و لا زلنا نكذب الكذبة تلوى الكذبة و نجبر أنفسنا و غيرنا على تصديقها ، تقول القافية و هي حافية ، تلك الكمات التي اتخذت بغير حق و وضعت في غير مكانها المناسب:

بأننا تعبنا و أرهقنا التعب من تلاطم الدم بسبب فكرة.

فكرة واحدة تكفي لأن تحتشد جيوش العالم كلها كي تتقاتل عليها يتدافع الدم كالموج يلطم مستقبل الأجيال ، المستقبل و العقل هو وحده من سيضحك على هذه الجماجم المبتورة ، يقف العقل على ساحل التاريخ و الموت المقنن خاطبا بهذه الأشباح قائلا:

يا أيها الأموات الذين كذب عليكم..

أنا العقل هنا ، و أنتم ضحية جهل و موت من أجل فكرة ما أو كرس لابن حرام ما ، أقول لكم و أنا كنت يوما من الأيام في جوف جماجمكم : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا.. !!

يا أيها السراب المحشو تحت الأرض ، يا أيها العظام المتآكل الذي ابتلاه التاريخ بالعفن ، أعلم بأن تلك الخرافات لا رب لها و لا دين ، و إنما كنتم وسيلة لكي يقضى عليكم و ينهش ما تبقى منكم و تكونوا معتقلين مخلدين في أقبية القبور ، و ينبت بعد زمن من الكذب اسما لكم تحت عنوان كاذب مكار:

الشهداء أكرم من في الدنيا أنبل بني البشر..
مبارك الشهادة و الموت الماكر ، مبارك الخديعة و الوهم التي لن تنتهي ، هل أنتم سعداء في ذاك الظلام و الظلم الدامس ، أعتقد بأنكم الآن تقولون:
يا ليتنا كنا تربا ، يا ليتنا عدنا إلى عقولنا.. !!
سوف أقول لكم و بكل صراحة أنكم في قمة الأنانية ، سوف أقول لكم ما فعلتم بعد موتكم ، الصراحة أمام شاهدات الموتى شجاعة ، البكاء على الأموات للجبناء ، الحزن جميل و لكن لمن يستحق ، أبشركم بأنكم تركتم خلفكم أيتام بعمر الزهور و قد أطلق عليهم يتامى ، هل أعجبكم الاسم !؟ .. حسنا و هؤلاء اليتامى شقوا حياتهم على عين الشفقة التي يطلقها الآخرون لهم بلقب يتيم..
هل تخيلت هذه الجريمة ، طفل بلا أب يقتات الأبوة من سوط الحياة ، ، و هذه هي الكارثة الأولى..
و بعد ذلك تركتم أنثى تتقلب على جمر الشقاء ، الآن هي تعمل خادمة في بيوت الكبار ، حسنا أنت تتساءل الآن و من هم الكبار !؟
الكبار يا حبيب امك تلك الفئة التي قتلت في سبيل أفكارهم و كذبهم و أهوائهم و شهواتهم ، اليوم و في هذه الساعة و في هذه اللحظة أم عيالك تعمل عندهم تحت أسم :

خادمة..

و بعيدا عن قضية الخدمة و مشتقاتها الكاذبة دعني أسلط الضوء على بطلنا الهمام ، تلك الأكياس البلاستيكية القابلة للنفخ و الضخ و المراوغة و حفظ حقوق النشر..

و لكن لن أقول لك بأنها تكفي ، فربما بحاجة إلى أخذ الحيطة لأن بطلنا له مقاسات عدة ، فيجب أن تستشير المنتج و المصنع لبطلنا الفذ..

بطبنا الهمام ليس بشرا ، و لكن له فوائد أكثر من البشر ، و ليس حيوانا بل إن في ميزاته وفاء أكثر من الحيوانات ، و ليس جنيا أو شيطانا أو ملاكا ، دعني أقول لك أنه السوبر حامي..

هكذا سوف أسميه السوبر حامي..

أنه لتاريخ عظيم للبشرية بأن يكون لدينا حاميا يفصل الأشياء عن بعضها البعض ، حتى يتسنى للمشتهي ركوب الخيل كما يشتهي ، إنه لتاريخ مزهر أن يكون لدينا بطلا باسلا يحمي الكرة الأرضية من التلوث البشري.. !!

هل تصدقون بأن الأرض نظيفة.. !!

إنها فلسفة الواقع المريع الذي أبهر الأرواح الشريرة التي أكتشفها الإنسان أو بلغة أصح ابتدعها الناس من أجل التجارة بالخرافة و العقول المحشوة بالخرافات ، لا تسأل عن هذه الأوهام التي عجز عن دحرها العقل البشر السليم ، خرافات في كل مكان من أجل الجنس و المال و

المنصب و استعباد الناس بغير حق ، تخيل كأن تخلق حرا بعقل سليم و جسم سليم و روح منفتحة للحياة ، هنا تبدأ القصة ، قصة الملاحقة من جحر إلى جحر و من منفس إلى منفس ، هم لا يريدوا منك إلا سواك ، نعم يريدونك أنت ، من أجل أن تعمل في معاملهم و تكون كل ما هبط من شرف لك تحت سقف شهواتهم ، و مالك يا حبيب الروح هو لهم هم فقط ، و عقلك لا تسأل عن ذاك المكون و المحور الذي يسعى ليلا نهارا على محوه كي يخلو للمطبلين و المزمرين و بياعين الخرافات و الخزعبلات بيع الجهل للناس تحت ماركة:

ألدوجس..

طبعا هذه الماركة لا يعرفها إلا من عنده كلاب معتادة على أكل الأطعمة الممتازة التي أتت من الدنمارك ، لم تعد الحياة مهمة بعد أن أضحى العقل أضحوكة أمام القاصي و الداني ، سخرية ما بعدها سخرية من أجل أن يكون هناك جماعات و أحزاب تأكل بعضها بعضا ، و الكبار.. يلعن أبو الكبار..

الرعية من حواشي الخراف التي تسير بقدمين تتناطح و تتناتف و تسلخ بعضها البعض و الكبار متربعين على عروشهم مثل الأبقار في الهند التي ينع ذبحها لأنها بقرات مقدسة ، و الإنسان يعيش في قمة الجوع من أجل أن يراقب البقر السائح في الشوارع و الأسواق و المحال التجارية..

إنها ليست قصة أو أضحوكة من نسج الخيال ، إنه واقع مؤلم جدا يتوارثه المدمون على الخرافات إلى يومنا هذا ، لا أمنع حقوق الحيوان أبدا ، و لكن ليس لدرجة الهبل و السخرية من النفس و العقل البشر ، و هناك أوطان تحلم بأن تزور بيتا من حجر يحوم حوله الناس لأنه شيء مقدس ، أنا أحترم القدسية التي يدعونها ، و لكن ليست لدرجة أنه يدفع الزائر ما هب و دب من أجل أن يرى المغرمون بالحجارة تلك الأعمدة المصفدة و أرز الكبسة كبس الله أنفاسهم و جعلها وجبة ديلفري لمن جاع و لمن باع..

السخرية من عقول البشر مساحة كافية تجدها على بقعة تدعي أنها في الجنة و غيرهم في جهنم ، و لو دققت الناظر جيدا لوجدت حياتهم التي يتفاخرون بها أشبه بجهنم و لكن على شاكلة حياة..

هذه الحياة التي لا زالت كما هي منذ ألف و أربعة مئة سنة لن تغني أحد من سقم أو جوع ، لأن المعلقون علاقات الفشل هم أنفسهم أتفه مما تتصور..

الروتين القاتل منذ ألف سنة لم يتغير ، و لكن تغيرت مساحيق النفاق من السيئ إلى الأسوأ و هذا بفضل التحديد من ماهية و مهام العقل البشري ..

هم يعرفون الكبار تلك المعلومة التي تقول:

إذا استيقظ العقل و كسر الحدود ، فسوف تسقط العروش التي جرت هذه الهزائم إلى الجحيم..

في الحقيقة العقل هو الجنة ، و ما دون ذلك كذبة عظيمة حيكت للأجيال من أجل أن تبقى دواب تدب على الأرض و لا تفقه ماذا تفعل..

و كلما لامست تلك الحدود التي وضعت تحت أية مسمى إنساني أو عقدي أو وطني أو أخلاقي ستجد القطيع يعوي كالكلاب الشرسة التي ربيت على أن تكون بطلة في الأفلام البوليسية..

لن تستطيع مقاومة المشهد بتاتا ، إنه السيناريو العظيم الذي ضبط هذه القطعان المنومة عقليا كي تتعلم فنون العبودية و تمارسها يوميا حتى تحرك المؤشرات و الأسهم في معامل الكبار ، طبعا الكبار أيضا عبيد للدرهم و الدينار..

إن المواد الموجودة في المجتمع وجدت حتى تخدم البشر و تمهد لهم حياتهم بشكل بسيط جدا و أن لا يكونوا عالة على بعضهم البعض ، و لكن الإنسان آه منه من إنسان..

لقد جعل من المادة آلهة كي يتقرب إليها و يحتمي بظلها و هي في الحقيقة لا تدفع عنه ضرا و لا تجلب له خيرا ، إنها الشر المجبول على الكذب و الخديعة و الخرافة و غيرها من أمور لا تذكر..

و لما لا تذكر..

فالسماء سماءك و الحبر حبرك و القلم قلمك و هذا العقل لم يحده شيء سوى التفكير و الكثير من الأسئلة ، بلغة أصح أتمنى أن لا تكف عن السؤال..

لأنك إذا أوقفت تلك الميزة في تكوينك ستكون بإذن الله من تلك الخراف المتدافعة في الشوارع و الأسواق تبحث عن رضى الآلهة التي لا تنطق و لا تسمع و لا ترى.. !!

شفت بعينك على المسخرة و المهزلة.. !!

طبعا ستحكم علي بالردة أو الكفر لأنني لامست جوارحك الروحية ، بكل وقاحة لأنني لا أعتبرها وقاحة بل هي قمة الصراحة سأقول لك:

قبل أن تتجهز و تتعطر و ترتدي الأقنعة و تغتسل لصلاتك ، عليك أن تنظف عقلك و قلبك من هذه الخرفات التي هي في الحقيقة عبارة عن خبث..

هذا هو الرجس و الخبث ، أن توقف العقل البشري و تسوره بالحدود من أجل أن تباع الخرافات في أسواق الحمير التي لا تصلح إلا للأكل و الشرب و النوم..

كلنا هنا دواب ، و لكن الميزة بين بعضنا البعض هو العقل ، العقل هو الباب الوحيد كي تنجو من هذا العرس الذي أقيم على شرف الجهل و العبودية ، العودة إلى العقل هو عودة إلى الأصل و ترسيخ مفاهيم الحرية التي جبلنا عليها..

إن الكلام و نشر حرية العقل لا تعجب الكثير ..

لأن هذا المنطق من الانفتاح سوف يغلق الكثير من أسواق الخرافات و الأوهام ، لذلك هذه القضية شغلت الكثير من علماء العقل و الفلسفة..
و على حسب ميزانية الانفتاح في جلب الأولاد من غير أن يؤخذ أذنهم عليك أن تستوعب آلاف القصص العالقة في المحاكم القضائية..
لن نسرد تلك الجرائم بحق جلب البشر إلى هذا الكوكب عن طريق الفوهات الغرامية أو لعلها الاغتصابية ، و لكن هناك من يأتي لنا بالمعجزات دائما ، و دائما لكل قصة بداية و لكن بداية هذه الرواية من حيث الرغبة و من التكاثر الشرعي و غير الشرعي و بأي شكل من الأشكال ، و ليس فقط يمنع تكاثر البشر بل يمنع الأمراض الجنسية من التغلغل في أجسادنا ، هل قلنا له شكرا ذاك المكون الغريب الذي منع جموح البشر من التكاثر و التناثر عبر القنوات الغريبة الأطوار..
إنه عصر الجماح و الرماية و ركوب الخيل..
بشر من طبقات عدة و أشكال عدة و ألوان عدة ، تريد و ترغب و تلوح من بعيد و من قريب من غير أن يدرسوا المستقبل بشكل أفضل..
إنها الرغبة فيما بعد الحب أو بعد الشهوة ، إنها جيوش ضخمة تتلصص من عيون الناس ، تنتظر لحظة غفوة أو غفلة أو انقضاض ، و لكن الجميع متربص بالطرف الآخر ، و أجمل المشاهد أن تؤتى تلك اللحظات من بعد حب ثم خاتم ثم طبل و زمر ، هناك تساوى هذه اللحظات بالقيم التي حث عليها الإنسان ، و حتى تكون في دراية دقيقة من كلماتي التي

لا تنتهي فالقيم هي عبارة عن تراكمات في الفضائل و التربية و نتاج التاريخ الدموي..

لم نعد نبحث عن قضية سوى أن نشعر بالوحدة ، يقال إن الوحدة قاتلة جدا .. هكذا يقال و لكن الحقيقة هي أنها أفضل من مخالطة البشر و سماع نقيقهم و ربما رؤية فسادهم الذي لا يطاق ، و بدأت البشرية تبحث عن مساحة أخرى بزعمهم أن هذا الكوكب لم يعد صالح للعيش ، و لو دققت في ملامح القائل ستجد أنه أكبر مفسد على وجه الأرض ، هو في الحقيقة يبحث عن مطامعه أضخم من جنونه و من هذه الأرض ، يريد مستعمرة لوحده كي يشبع شرهه و يزيدها كذبا و خداعا ، إنه عالم متهور جدا ، و على حافة هذه الكرة المستديرة بالغرابة هناك كويكب صغير أستعمره بعض العنصريين يقال له:

أميركا..

حلو الاسم مو هيك.. !!

و أنت أحلا يا حبيب ، المضمون أن من يسكن هذه القارة يجيشون كل ما لديهم من قدرات من أجل الرحيل من قارتهم إلى كوكب آخر ، أنهم يعتقدون أنهم صناع حرية و هم في الحقيقة هم تجار دماء و سلاح ، بل كل جذورهم منتشرة كأخطبوط في كل هذا الكوكب من أجل السلب و النهب و ابتلاع النفط و خيرات الأوطان الأخرى..

الأوطان الأخرى لم تعد أوطان بل أضحت حفنة ركام فوق بعضه البعض بحجج واهية..

يمكنني أن أصنع كماشة أعلق عليها فشلنا الذيع على الدول المتحكمة بكوكب صغير يسمى الأرض ، و لكن الأرض كما لها بداية أيضا لها نهاية قريبة ستجعل منا ذرات طحين تنتشر في الفضاء ، و الفضاء له نهاية أيضا لا من آلة وجددت من بداية تكوينها إلى وجودها لهذه اللحظة إلا و لها وقت للتوقف كليا..

تتوقف الأكاذيب عندما تنشر حقائق الصدق و النية الطيبة ، و لكن النوايا تغيب في لحظة جماح ، و لذلك بدأ البشر يفتشون عن بديل حتى تتوقف هذه الكارثة الإنسانية ، ألا و هي كارثة الإنجاب و انتشار البشر بطريقة غير منطقية ، كيف لهذا العقل أن ينتج فكرة جديدة كي يمنع تساقط البشر من أرحام الأمهات..

هنا نعيد الفضل للفيزيائي العملاق السيد:

جوليوس فروم ..يهودي بولندي فيزيائي و رجل أعمال..

هذا الرجل كانت فكرته تجارية بحتة ، و لكن هنا أمعن العقل مع خبرته الفيزيائية حتى يخترع المعجزة:

الكندوم

لقد استنفذ كل طاقته لخرج لهذه الأمم البائسة بالواقي الذكري الذي يحمي الجميع من أكثر من ورطة مرورا بالأمراض الجنسية منتهيا من التكاثر

الغير منطقي بحجج عقائدية أو طفران أو شهوة أو غفلة أو ما إلى ذلك ..

تبا..

يمكن بعد هذا السرد عرف الجميع من هو بطلنا..

و لكن الشرقيين بينهم و بين اليهود عداء وراثي ، هناك صفة نازية تسري في عروق الشرقيين ألا و هي لا يفرقون بين اليهودي المتطرف و بين اليهودي المحب المسالم ، و لو أتيت إلى الشرقيين لوجدت الصفة ذاتها ، فهناك شرقي مسالم و هناك شرقي متطرف ، إنها حالة الأمم و العاتق الكبير هنا يلقى على التربية العقدية و الفكرية ، ولكن أكثر الناس لا يعقلون..

كان يعتقد المكتشف لهذه المعجزة بأن الغربيين هم أثر الناس الذين سوف يستخدمون هذه المادة ، و لكن خاب ظنهم ، و نسي المكتشف بأن هذه المنطقة من الخراب المؤثث بالحروب الطائفية و الفكرية عبارة عن كذبة و جدار يتخفى خلفه أهل القيم المخادعون..

الحب..

كلنا نحب و نبغض ، كلنا نبحث عن ذاك الشيء لأنه مصدر من مصادر الطاقة للنفس و الروح ، الناس هنا لا تعرف لماذا تعيش ، و إن قالوا لك بأننا نعيش من أجل كذا و كذا فأعلم بأنهم كاذبون..

نحن في الحقيقة لم نعش بعد ، نحن في قمة الموت و لأسباب كثيرة أكبرها بأنك لا تستطيع أن تعبر عن رأيك ، و لو عبرت عن رأيك سوف ترى العجب العجاب..

أنت وصفة أنية لقبائل التسول التي تدور حولك ، ستعرف بعد زمن من الموت الحياتي أو السريري بأنك أنت في الحقيقة ميت ، و لكن تحال أن تحاول ، و لكن ستقف أمام فوهات هذا الكون و تبصق عليه بكل ما أتيت من قوة..

لا تستعجل بالبصق لأن الحياة سوف تبصق عليك بطريقتها و من غير أن تخرج البصقة من فمها ، و أنت ترى كيف تنهال عليك جموح الإهانات من القاصي و الداني فقط لأنك قبلت أن تتحدى مضمار الحياة ..

و أنت هنا تشعر أنك تجري ، و في الحقيقة أنت في مكانك راوح راوح ، و تشعر بأن الجميع يراقبك و ينظر إليك و في عين الواقع الجميع مشغول بما لديه من كوابيس نهارية..

اختيار الصمت هنا نوع من أنواع الانتحار ، الجلوس في زاوية المطبلين أيضا جنون و جرف في وحل الخراف نحو المجهول ، و لو بقيت معهم سوف تكون أحد الأرقام المجازية في معركة هم و هم.

المجرة و أنت..

و تلك القطع البلاستيكية الشفافة التي تنهال على الدول العظمى و غيرها من الدول التي لا ترى إلا بالمجهر، أكوم من ها تتسرب كل يوم إلى الخفاء ، و تباع في دول الانفتاح كما يباع الهواء بالضبط ، و لكن هناك زوايا منهكة من القال و القيل و تجارة الكلام المقنن من أجل عين التاجر ، هذه الزوايا يباع فيها الحياء بكل وسائل الكذب من أجل أن تخفى الذبيحة و الضحية خلف أستار الليل..

القطع هنا بمقاسات عدة ، هناك من منها متساو و هناك من منها متفاوت ، و آخر صيحة هناك من منها بمذاقات عدة و روائح جمة ، و الرائحة التي لا يستطيع المرء أن يبرزها هي أن تتماشى مع كوكب النعيق و القال و القيل من غير أن يتفوه فاك بكمة..

الحياء هنا مرفوع أعلامه ترفرف عاليا في سماء أهل القيم ، و لو تركت هذه النعاج لوحدها تختلي بنفسها و لو لحظة لرأيت العجب العجاب ، تتساءل القلوب معلنة حداد ما فيها من ألم ، لما كل هذا النفاق **!؟**

لا تستجلب الألم ، لا تنهال بالضرب عليه ، لا تقسو بمحكم الكلمات ، و كل خلف لا هناك حكاية تحاك في قعر ما لكوكب ما من أجل قضية ما ، لعلك لا تفهم دهاليز الفلسفة ، و لكن تعي فحوى كل سطر يدور في أروقة دماغك ، إن الأبطال في أغلب الحكايات تقع في كفة رجل ، هناك

ملايين البطلات اللواتي أنقذن مجتمعا بأكمله ، و لكن الحكاية تقول بأن تجني ثمار كل قصة أو كل بطل أو كل نطفة..

بينما العالم يدور حول نفسه ، و بينما الثروات الطبيعية غيرها من نهب طبيعي ينبش و على عينك يا تاجر ، و بينما تسوى الأرض بضحايا الكرمة في كل قطعة مسلوب منها رائحة كرامة ، كان هناك على الضفة الأخرى من معامل الواقي الذكري التي تصنع في ألمانيا فتى يقال له: كريم..

هما هكذا يدعونه ، و ينادونه ، يصرخون عليه ، يقنون الأحكام في عقله ، يدسون السم إلى جداول روحه ، يعتبرون أنفسهم أنهم أوصياء عليه ، يشدون أوتار مسامعه بالخرافات و الأوهام ، ينحتون أما عيونه حدود الله ، و الله مطلعا عليهم و على ما تخفي الأنفس و تكنه الصدور ، يجدفون به إلى الظلام الدامس كي يرسم نفسه كما يريدون ، يشمرون أفكارهم و يحشونها كمدا بلا وعي ، الوعي هنا مغيب تماما لا يلقى له بالا ، يسأل نفسه دائما:

لماذا أنا هنا **!؟**

تهتز مسامات أفكاره ضاحكة:

و أين تريد أ، تكون مثلا **!؟**

إنه الإرادة التي حكمة على معظم البشر بالإيمان بخيرها و شرها ، و في مكامن الحقيقة هم خيرها و شرها ، و لكن يراود قلبه سؤال آخر:

هل هذا يسمى ابتلاء !؟

هو لا يعرف ما معنى ابتلاء ، و لو شرحت له سوف يهز رأسه مدعيا أنه فهم ، و هو لم يفهم و لا كلمة بل عرف كيف يرددها ، هم علموه أن يتلفظ كلمة بلاء من غير أن يعرف كيف يتخلص منها:

عليك أن تؤمن بأن الله إذا أحب عبدا ابتلاه..

عرف الله حين ذاك ، عرفه كما لم يعرفه من ذي قبل ، كلما زاده جوعا و خنوعا و عطشا و قسوة يعني ذلك أن الله اصطفاه على العالمين ، و لكن لماذا يا هذا !؟

لأنه يحبه.. !!

كلنا نفهم ما معنى الحب ، في الحقيقة نحن ليس أغبياء ، الأغبياء من لقنتموهم سوط العذاب و لم تخبروهم كيف سيخرجون من هذه الدوامة المتلاطمة بالويلات..

كريم على أبواب الدخول في عامه الثالث عشرة ، كريم من الأردن من الغور الشمالي ، هو هكذا من أصحاب البشرة السوداء ، هو لم يختر أسمه و لا لونه و لا بلده ، إنه البلاء الذي سحب به حيث الحب بل بين قوسين العذاب ، لده من الأخوة أربعة و الأخوات ستة ، و أباه لا زال يريد مزيدا من النفايات البشرية ، و أمه لا زالت تريد المزيد و المزيد من اللحوم و الأمنيات الطولية ، و عندما تسأل الأب لما كل هذه الكوارث البشرية ، سيقول لك و عزة نفسه تتقاطر شاهامة و همة:

أنهم عزوة في الكبر..

في الحقيقة لا يوجد لديه ما يطعمهم ، أنهم يعيشون على الصدقة و خير الجيران و الأقرباء ، و المرأة التي في بطنها حكاية ألف و ألف طفل عند الكبر كبر عليها:

هذه البراعم فرحتي.. !!

و لكن عند الجوع هم لعنتي ، لا تستطيع أن تقول هذه الحقيقة لأنها غارقة بوحل الأكاذيب و ما يتداوله الناس عن انجاب المزيد من هذه الأكوام اللحمية..

كريم لم يعد ذاك الطفل الذي تخبأ له أمه قطعة الحلوى ، كريم يطالب يوميا صباحا مساء بأن يحضر و لو قطعة من حلوى لأخوته الصغار ، أنتم لم تروا كريم كيف يذهب كل صباحا إلى حقل الجيران من أجل أن يعمل فيه حتى غياب الشمس ، لو سألت كريم ما الذي دفعك أن تفعل هذا السيناريو الصباح ، سيجيب:

من أجل لقمة الخبز..

لقمة الخبز دفعته أن يحمل هم بطون هو بغنى عنها ، لم يحمل هم بطنه أحد سوى النقيق و اليقظة باكرا إلى الحقل ، و تلقي الأوامر التي لا تنتهي ، و ابتلاع الإهانات من القاصي و الداني ، و لكن كان من المفترض أن يكون في هذا الوقت من السن في المدرسة ، أو في الحي

يلهو مع الأطفال ، و لكن نشوة الأبوة و شغف الأمومة للحوم المكدسة في هذا البيت ليس لها حدود..

لقد رسمت حدود الفتى مذ أن نبت له أسمه ، لقد سماه أباه كريم كي يكون كريما و في الحقيقة هو لا يمتلك لقمة كي يسد بها جوعه..

أملاح أسمر طيب السمت و الصمت ، كساه الله خلقا عاليا رفيعا كي يخوض هذا العالم الوسخ بكل مرونة ، سبه صاحب البستان الذي يعمل به ذات صباح لأنه وطئ بقدميه ترابا كان مدفون تحته حبات الذرة ، واصفا إياه:

يا ابن السوداء..

لا علينا أمه سوداء ، و لكن قلبها أبيض و ناصع بل أكبر من حجم هذا الكون برمته ، صمت كريم و هو يسمع رنين الإهانة ، جرح الفتى من صدى الكراهية ، تمنى لو وطئ الحقل برمته كي يأخذ حق أمه التي كانت تخبأ له الحلوى في حجرتها كما تخبأ دم حيضها..

و لكن كريم ذو طبع هادئ جدا ، من أجل لقمة العيش ابتلع تلك الإهانة في قلبه و لكأنه ابتلع سكينا ذو حدين ، و لكن هذا الجرح العميق عبارة عن بذرة في جحافل النفس و ما إن نبتت حتى أغرقت كل من في الكون ، أنا ابن السوداء ، و دراهمك لم تعد تنفع أبدا ، و لقمة العيش تبا لها لأنها لقمة نبتت من مكب الإهانة..

إنه ابن السوداء إذا..

و ها هو ذاك ابن السوداء يحاول أن يقف على قدميه كي ينجو من الإهانة ، و لكنها اخترقت قلبه و أردته متألما على ما تلقى من وسخ..

إن هذا المكان من العالم يعيشون على الفطرة ، الفطرة التي جبلوا عليها هم ، لا الفطرة التي جبلهم الله عليها ، و لو ركزت في ماهية الفطرة ستقع في خبر حيرة من المخبر و المخبر لأجله..

الفطرة ، تلك النجاة التي حدث بها الأنبياء لشعوبهم و أتباعهم ، و كل نبي يسحب بساط الفطرة إلى جنابه ، و لكأنها الحلقة المفقودة التي يبحث عنها المجتمع ، في الحقيقة هذا المجتمع لا يحتاج إلى فطرة و لا إلى تحاليل اجتماعية و لا و لا إلى محليين ، سأمنا من القال و القيل و النق و النقيق ، إن هذا المجتمع بحاجة لأفعال واضحة تجلب لهذه الشعوب المتناحرة على لقمة العيش السعادة ،و لأن السعادة رزق فعليك أن تبحث عن رزقك حتى لو كان مدفون في جوف الأرض..

المدينة الخافتة التي ميزها الله من بين المدن الكبيرة المجاورة بعدة ميزات أولها أنها شديدة الحر ، و ثانيها أن أغلب أهلها من أصحاب البشرة السوداء ، و ثالثها و أهمها أن أغب سكانها لهم قلوب طيبة بل أطيب مما تتصور ، و رابعها أن الناس هنا عملهم الأول و الأخير هو الزراعة..

قبل طلوع الفجر يهرع الناس إلى الحقول كي لا تخبطهم حرارة الشمس و تجلد نشاطهم ، يتدافعون بالسيارة الخفيفة الزراعية كأنهم زروع نخل خاوية تتسرب الطرقات الترابية بالدرجات الخفيفة و الثقيلة إلى قطع الحقول المتجاورة ، و بصمت الموت يعمل الناس في تلك السجون الخضراء..

لعلها ليست خضراء بالقدر الكافي..

و لكنها نبتت بأياد مثخنة بالحب ، تعايشت على الطمأنينة و الراحة و الرضى بما تفعل ، لعلهم غير راضين عما يصنعون ، و لكنهم وجدوا أن يهرعوا إلى هذه الحقول كي لا يموتوا جوعا..

لعله تراض ، مروضون على الرضى..

متراضون فيما بينهم..

كأن الرضى آلة حياكة أرسلها لنا من حكمه في السماء و أمره يجري على أهل الأرض كي يرتدي المتراضون كسوتهم كما تريد الحكاية ، و لكن كل الحكايات تنهار أمام موقف ذل صدر من شخص يقول بلغة مبهمة:

أنا ربكم الأعلى..

و في كل مكان و زمان تنتشر هذه البكتريا في أصقاع الأرض تريد أن ترتدي ثوب الربوبية ، و لكن الله له سوط يليق بجلاله و عظمته ، يمدهم

في بداية الأمر و من ثم يجلدهم به جلدة واحدة يقلب الأرض عليها سافلها عليهم و يجعلهم كعصف مأكول..

لا عظمة على هذه الأرض إلا لمن جعل من قلبه آلة تفرز الرحمة و المحبة ، إن المحركات التي تحرث الأرض بالشر و الكراهية و العنصرية لا تدوم لأن أسنانها غير قابلة للفرم ، فسيأتي يوما من الأيام و تفرم ذاتها..

لكل ذات ذوات نبتت من رحمة ، و لكن البشر إن استعملوا هذه الرحمة لدوافع غير واضحة أو هي أقرب للشر فسوف تروا العجب العجاب ، و إن من العجب العجاب أن يتزاوج أبنا هذه المدينة في سن مبكر من غير أن يطلعوا على الماضي ، تخل أن يتزاوج ابن العشرين و الثمانية عشر..

لا دليل لديهم سوى أن الله أمرهم بذلك ، هم ورثوا هذا المفهوم أبا عن جد من غير أن يعرفوا النصوص و لا الموارد لهذه الأوامر ، إن كريم كان أحد ضحايا هذا المجتمع الذي يتزاوج به الأطفال قبل أن يفكروا بما سيحدث..

و ماذا سيحدث.. !!

هكذا قال أحدهم عندما سألنه عن هذه القضية ، كيف تتزاوجون بسن مبكر من غير أن تفكروا بالنقد و ما شابه من أمور معيشية ، و المصيبة ليست في التزاوج ، لو كانت في التزاوج لبقينا صما و بكما و عميا..

المصيبة أن هذه القطعان البشرية تتكاثر بجنون من غير أن يلقوا لأنفسهم بالا ، يعني لا يوجد استراحة بين الحمل و الحمل ، و المرأة هنا تبقى تنجب حتى يصيبها مرض عضال أو أن تموت بأمر من الله ، و البيوت هنا بلا بيوت ، مشرعة على بعضها البعض كأن هذه المدينة بيتا واحد بالضبط ، بصمت تام تسير هذه المدينة..

بصمت و أمر من الله..

تشعر أن الانتقام هنا وجب شرعي و وطني ، لعله تحليل رأته عيناي فيما يدور في جوف هذه المدينة من قضايا صامتة ، هنا الجميع يريد أن ينتقم من نفسه ، هم لا يؤذون قشة ، لأن قلوبهم أرق من قشة و أطيب من زرقة السماء المتكورة ، إن المصيبة أن التعب و الجهد يلد شهوة أخرى الجنس و الشغف إلى الملذات ، يأتي الرجل من الحقل مجهدا لا يخلد في دماغه سوى الطعام و الراحة و ما إن انتهى حتى يزحف إلى ملذته الكبرى..

المرأة تعرف نفسها بأنها لن تأخذ إجازة لجسدها المنهك إلا من بعد أن تحمل بجنين و تنجبه ، فمن غير أن تفكر تحبل و تنجب و ترتاح ، الأطفال ينبتون مع قصب السكر الذي يفصل الحقول و الأشجار التي لا تنبت إلا حرا..

و الحرارة ملتهبة تبتلع الأخضر و اليابس..

و البشر كأنهم في حفلة شواء على شرف القدر..

كريم تلمع بشرته السمراء في الحقل ، تحت أشعة الشمس الحارة لا أماني لديه سوى السراب ، و سرداب من ظل تمشي بجانبه ساقة من ماء بارد ، و خبز من طحين الذرة..

و راحة جسدية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها..

من عليها منتشرون في أرضه يبحثون عن راحته ، و لكن كريم ينزف مانة من الكلمات الجارحة التي يتلقاها من صاحب الحقل ، يقول أباه:

دعوه لعله يصبح رجلا.. !!

لا مدافعا عنه و لا منافحا عن كرامته سوى هذا الكون ، الكون يدقق في تفاصيل الحكاية التي تحاك مع كل لسعة شمس ، و لكن الوضع يزداد حقارة يوما بعد يوم..

تخبأ الجروح في القلوب إلى أن ينضجها الزمان ، كأنها قطع من عجين و تدخل في تنور نار ، و ما هو الجديد يا ترى ، الجديد أن يحمل الإنسان هنا همومه على كتف ضميره كما يحمل شوال القمح و الطماطم على كتفه ، و الأكتاف متساوية هنا ، كلها تتلقى الطعنات و تبقى في دائرة الصمت تبحث عن مخرج لها..

هذا الإقطاعي أحد أفاعي العاصمة الأردنية عمان ، نصب نفسه على هذه الحقول الرب الأعظم ، تمده الحكومة بالوجاهة لأنه يمتلك الكثير من الأراضي و العبيد ، إنه كأباه بالضبط و لكنه أسوء من أباه بألف مرة..

عندما مات أباه في حادث سيارة بين الغور و عمان فرح الناس و خبزوا الحلوى و الخبز ، و عندما سألهم أحدهم لماذا الحلوى في يوم موت الباشا.. !!

أجاب الناس أن الله يتقبل العمل الصالح ..

إنهم لصوص الوطن..

الوطن كثكلى تتهاوى على أكتاف هذه السنين ، من يستمع لهذا الموت المبكر سوى الموت نفسه ، و لكن هنا أبناء الحرام في كل مكان ينهشون في تفاصيل هذا التراب لعلهم يجدون ما يسدون شرههم و جوعهم القذر ..

مناصب و كراسي و حواشي و حرس..

اللصوص هم فقط من يترسون بالجنود و الجيوش خوفا على حياتهم الشخصية و وحده كريم من يستيقظ باكرا قبل أن تطلع مراسم النور و تنبلج الشمس و أشعتها طاردة الظلام و تلعثم الظلم ، يستيقظ و لا يخشى شيئا ، و لا حتى لقمة الخبز ، لأن الحقيقة تقول الغني شبعان و الفقير شبعان..

و لكن رتبة الشبع و البطر متفاوتة جدا إلى حد لا تستطيع تصوره أبدا ، وحده كريم من يسير في الطرقات المعبدة بالطين و الوحل و لا يخشى أن تلوثت ثيابه أو أصابها بلل ، و حده كريم من يلتهم أشعرة الشمس و سوطها القاتل و لا يخاف من تغير لون جلده أو تشققه..

مضمار لقمة العيش هنا تختلف جذريا..

و كلما زاده صاحب الحقل في المهانة كلما قسى على نفسه و جلد ذاته بالعمل ، تشعر أن الناس ينتقون لأنفسهم بأنفسهم ، يجرون هزائمهم بالعمل المتواصل كي لا يفكرون بمستنقع الذل الذي يعيشون به..

وقائع مؤلمة قد ألمت بالبشر هنا..

و كريم مسلوب منه تلك الكارثة..

مسلوب منه ثاني أوكسيد الشجاعة ، الشجاعة هنا فقد لأبناء الحواشي المنتفخة بلقمة الحرام ، يقتاتون عليها بالتساوي و يحرمون أبناء الشعب ، فلا ضير أن يكون كريم أحد ضحايا هذه الأنظمة التي ذاقت الويلات ..

أنه كريم ابن الكريم الذي ما أتى إلى بيته ضيف ألا و استدان من أجل أن يدخل في موسوعة إكرام الضيف ، و الضيف هنا مقدس حتى يرى المضياف ظهره ناويا الرحيل..

و ما إن رحل الضيف حتى يليم أهل البيت ما تبقى من أرز و فتات لحم و خبز متآكل ليكملوا مسيرتهم إلى ما يسمى الحياة..

و الحياة لا تعني لهم شيئا ، الحياة ممكن أن تعني لهم شيئا ، لا أحلام تنسج على سنارة الحياة ، لا أهداف يسعى لها سوى لقمة الخبز ، إنهم يتدافعون إليها حفاة عراة بكل ما أتي الألم من ألم ، يناشدون بها الله أن يمنحهم إياها كي لا يقال عنهم بأنهم ماتوا جوعا..

و في الحقيقة إنهم يموتون جوعا و قهرا تحت تأثير الصمت و بكاتم عميق جدا حتى لا يحدث لموتهم ضجة ، إنه السيناريو المتداول في تلك الخلية النائمة على تعاستها ، تخشى الحيتان من استيقاظ الأسماك الرقيقة

التي أرهقها الهروب و أرقها التعب ، الحيتان التي احتلت المال و المنصب ، تلك الحيتان التي نحتت على جنبات أبوابها:

هذا من فضل ربي..

و الفضل مع الحياة هذه هبة توهب للحرامية فقط ، و ما تبقى من فضل كالتقوى مثلا و الصبر جدلا يتقاسمه الرعية ، في أغلب الأحيان تتعطل الأفكار بسبب المكروبات الوطنية و القومية و العقدية التي تعاني منها أغلب الشعوب الخانعة لأوامر لصوص الوطن..

و كسرة الخبز تؤكل بلا رحمة و لا شفقة و لتأتي الرعية كي تلملم فتات لصنا الأعظم الذي صفقنا له بالروح و الدم..

و لكن الدماء هنا تختلف جذريا ، دماء كالطين تماما مخثرة بالتحمل و القسوة..

الكلمة الثانية التي سمعها كريم من صاحب الحقل عندما كان يتجول في حقوله الشاسعة ، و أجزم بأنها ليست بحقوله و إنما وظفت في إذلال الرعية:

يا ابن الحمار..

لم يكن كريم أباه حمارا ، و لم تكن له زريبة لتحويه ، و لم يكن طعامه شعيرا ، بل ترعرع على الصلاح في بيت يكاد يتهاوى من دلف الشتاء ، قالت الزوجة لزوجها:

لو ترمم لنا السطح..

أطرق الزوج رأسه:

و لقمة الخبز..

إن الحال من المحال ، إن الحال له حكاية نطفة نبتت من شقاء الأرض و بؤسها المهالك ، و لكن أهل هذا المكان يحرثونها بالحب تارة و يجنون ثمارها بالفرح تارة ، و تارة تسعفهم الأمنيات كي يعيشوا في وطن لا فرق به بين أبيض و أسود إلا بالتقوى..

أضمر كريم ما يتلقاه من صاحب الحقول الشاسعة الذل في نفسه و راح يصرخ قائلا أشكوا بثي و حزني إلى الله ، إنه لا زال يذكر عندما كان يذهب إلى مدرسة ، كان بين عينيه لمعة ذكاء و تلق لأي معلومة بكل فطنة و حنكة ، كان له أستاذ أنهكه الزمان في تعاطي القواعد و شرحها للطلبة ، و لكن لديه حنكة في رؤيته للطلبة ، كان يقول لكريم:

سيكون لك شأنا عظيم..

ابتهج كريم لأن له شأنا عظيم في قلب أستاذه ، راح إلى البيت فرحا ، لا شيء هنا في بيت قد تغير ، صوت بكاء الأطفال ، التلفاز لا يؤبه لوشته أحد ، القدور يتصاعد منها أبخرة المرق ، الغرف مشتعلة بالفوضى ، و حبل غسيل قد نشر عليه تفاصيل صغيرة مبتلة بالخيبة ، و ها أنا ذاك:

يمة

تكنس فناء البيت الترابي بمكنسة من قش ، منحنية الظهر للطهارة ، هم يريدونها هكذا دائما ، منحنية لكل شيء ، و تحت كل القوانين ، تحمل عبئ هذا الكون ، لأنهم يرونها أنها سبب مشاكل هذا الكون ، لم يأتي إليها أحد و هي طاوية كفها على خدها و جالسة في ذاك الفناء الضيق من هذا العالم كي يقول لها:

هل يؤلمك شيء ؟

هل أنت حزينة من شيء ؟

هل تحتاجين لشيء ؟

الجميع يطالبها بما لا تستطيع ، ترقع الطلبات بالكلمات ، تهدأ من روع هذا و تخمد غضب هذا و ترسم السعادة على وجه هذا ، في آخر النهار يأتي رجل البيت لينهرها و يهينها و يدس سم كلامه في قلبها ، و لكنها تجرح بصمت لا يعلمه إلا الله..

هم يحسبون بأن لديهم أما من حجر لا تغني و لا تذر ، و لكنها من لحم ودم جبلها الله بشعيرات من الأحاسيس ، تضمد هذا الضجيج القادم من الشرق بالصمت..

عليها بالصمت فقط ، الصمت الذي له أسماء عدة ، كالصبر و التحمل و الجلد ، لو كانت تعرف بأنها ستكون أحد ضحايا هذا المجتمع رفعت دعوة بحق القضاء و القدر ، و لكنها أتت لا مفر من مواجهة هذا الخراب :

نعم يمة !؟

دقق جيدا..

و لو أن هذه الكثبان البشرية استخدمت ما يسمى الواقي الذكري ! ، هل كانت يمة هنا أو بلغة صريحة هل كنت أنت هنا.. !

لا يهم الآن أنت و أنا و هم هنا..

هنيئا لهذا الكوكب بالمخلفات البشرية من ألوان و أشكال عدة ، و لكن يمة تنتظرك ، ماذا تريد يا فتى ؟

أخبرني الأستاذ إبراهيم بأن لي شأنا عظيما.. !

أمك تبتسم ، في لحظة تتغير ملامح ابتسامتها ، ثم تنتقل إلى مرحلة القهقهة ، تحاول أن لا يرتفع صوتها ، فتقع ضحية للضحك المبرح ، و تسقط على ظهرها من الضحك ، تضرب كفا بكف و تهم بالجلوس على حافة السلم الحجري ، و لكنها تسقط..

كان كريم يقول دائما هل عاقبها الله فورا لأنها سخرت مني ! ، و هل فعلا سخرت مني أم إنها صدفة قدر ! ، أو لعلها لم تسخر و إنما فرحت بطريقة أخرى أنا لم أفهمها..!

يعجل الله بالعقوبة لأمثالنا ، و يمد الله للظالمين مدا..

و سلامة فهمكم..

تريد أن تتفوه ، و لكن القهقهة أخذت منها حيزا من المكان ، و حيزا من الموقف ، و حيزا من تعجبي:

إن شاء الله يمة..

لم أفهم مشيئة الله وقتها ، و لكن فهمت حجم السخرية التي وقعت على قلبي ، في كثير من الأحيان ينتابني شعور الأهل الذين لا يؤمنون بثقة أبنائهم بأنفسهم ، أتلاشى من الغوص في هذه النصوص المرئية ، لأنها معقودة بمشيئة الله و قضائه و قدره..

إنك مقدر أن تكون في هذه الزاوية من العالم ، مقدر أن تتماشى مع أفكارهم و تستمر بعملية الإندماج السلبي الذي يقود إلى الهاوية ، مقدر أن تبتسم و في جوفك ألف جرح و نزع و حرب ، فقط ليشاهد ما هي قدرات تحملك..

بعد أيام من هذا المشهد سألت أمي:

ماذا تقصدين بإن شاء الله.. !

كانت تخبز الخبز على الصاج ، كنت أخبز ما بي في فرن غيرتي على نفسي ، و لكن لم يكن أحد يلحظني أبدا ، الجميع مشغول بلقمة الخبز حتى أتتني صاعقة أخرى:

يمة هذا الكلام ما بطعمي خبز..

كلامة خبز تقال في اليوم أكثر من ألف مرة ، أسمعها و لا أشبع ، فهي رحمة و لعنة في نفس الوقت ، إن كنتم لا تستطيعون أن تسمعوا لأحلام أبنائكم فلما أنجبتموهم.. !!

الأسئلة معلقة على حبل الله ، أسئلة متسخة بحاجة إلى تأهيل ، و الأجوبة في أفواه الصمت لا تستطيع أن تتفوه بالإجابة ، الحياة تمارس الرذيلة

معنا بكل قسوة ، و الكل يهرع خلف كلمة الخبز التي لم نشبع منها يوما ..

إن كنت فلاحا ماهرا لا تمتلك حقلا فما الفائدة !؟

الفائدة تصب في جيب من لديهم هذه الحقول الشاسعة و يستخدمون الطاقات البشرية في تعبئة جيوبهم و بطونهم ، و لكن أمي المسكينة لا تفهم هذا الكلام ، لم يحالفها الحظ و حملت في يدها أكثر من 50 دينار أردني ، ربما لو أمسكت بيديها 100 دينار سوف يغشى عليها..

هل رأيت كمية البساطة التي تعيشها الأنثى في هذه الزاوية من العالم ، هي تعتقد بأنها على قيد الحياة ، و لكن هناك شرخ ينزف تعتقد بأنه أنت و في الحقيقة هو أنت..

أنت التي كنت أحد جناة هذه البشرية و في الوقت ذاته أنت ضحية..

إنها أمي التي لم تعرف أبي يوما من الأيام سوى في الفراش ، مخدرة من التعب و هو أيضا منهك من العمل ، أنثى بعمر الأحلام الطفولية كم تمنت أن يكون لها غرفتها الخاصة و لعبها التي تحبها و دفاتها الملونة ..

خانتها الأمنيات عندما كانت تلعب في زقاق البيت ، حيث وقفت ثلاث سيارات أمام البيت و خرج منها رجال يرتدون عبي بوجوه ممسوح منهم الرحمة ، هرع أبيها مرحبا بهم:

يا حي الله بالوجوه الطيبة..

وجوه طيبة ! ، هل هو نفاق أم مزحه مع تفاصيل القدر ! ، لم تلمح تلك الرحمة أبدا ، بل كانت كبقية الفتيات تماما ، ما انتهت من المدرسة حتى ارتدت ثياب العمل و هرعت إلى الحقل كي تساعد أهلها كب يؤمنوا لقمة العيش..

توقفت آلة الزمان حينما دعتها أمها إلى حضنها ، تقول الكلمات المتكأة على كل إشارة تعجب:

ارتمت الطفلة في حضن أمها كأنها الآن قد ولدت ، و لكن قبل سبعة أشهر رأت على ثيابها دما أحمرا ، و جرت إلى أمها تخبرها عن ما يجري ، فابتسمت الأم و بكل بساطة همست في أذنها:

كبرتي يا بنت و صرتي عروس..

لم تفهم الطفلة هذه الكلمات ، و لكن بللها الخوف و جعل منها آلة ترج من الوجع ، ما الذي يحدث ؟

أخبرتها أختها الكبرى بأنه دم الحيض ، و أنها أصبحت مؤهلة للزوج ، و ربما أبيها سوف يزوجها في أقرب وقت ، انتفضت الطفلة عندما سمعت بالزوج..

إنها أمي التي مسحت أمها وجه ابنتها بالماء و شدت شعرها و وضعت الكحل في عينيها و أحمر الشفاه على شفتاها و دخل أبي كي يراها تحت مسمى شرع الله و العادات و التقاليد..

كسرت من نظراتها أرضا ، فهي لا تعرف عالم الذكور إلا بالحي و المدرسة ، و لكنها الآن بدأت تعرف أن الظلم لا حدود له ، و أنه مفصل على مقاسات الجيب لا بمخابر الغيب ، و أنه الله الذي استوى على عرشه ينظر إلينا كيف نقسوا على بعضنا البعض بحجج واهية كالستر مثلا و أوامر الله و هكذا جرت العادة بين أبناء القبيلة ، دقق جيدا أبناء و وجهاء و كبار ، و هلم جرا.. !

الجرة هنا سوف تأخذنا إلى الهاوية من أجل قوم زبانية سيصلون نارا حامية على ما أسرفوا في ظلم الإناث مقابل دراهم معدودات ، الأسئلة تدور حول بعضها البعض ، تلتف حول العقل البشري الذي يريد أن يقتص لأفعال لا عماد لها ، بل عمادها الظلم و الجور..

لو هذه الجموع الغزيرة من الإناث تركت على فطرتها ، و أعطي حقها في أن تختار حياتها و أهدافها و طموحاتها فكم يا ترى سيقع من تجمعات ذكورية واهية في الحضيض.. !!

نحن أصلا في الحضيض ، بل أسوء من الحضيض ، و حتى أريك الحضيض بعين واقعية عليك أن تأخذ صورة عن الحضيض لأن الوقت لن يعود فعليك توثيقه كي تعرف في المستقبل كم نحن أمم جبانة تخاف من باطنها بخلاف غيرها.. !!

و لأنك أنثى و أحد الأدوات التي تباع و تشترى سوف تخرسي بكل ما أتي الظلم من ظلم ، لا مكان لإبداء الرأي هنا ، فالرجال قوامون على

النساء ، و للذكر مثل حظ الأنثيين ، فلا مجال للتخبط و المعارك الفاشلة في واسط قوم يعدينك علمة صعبة..

دقق جيدا..

و لو أن هذه الكثبان البشرية استخدمت ما يسمى الواقي الذكري ! ، هل كان ها الظلم هنا أو بلغة صريحة هل كنت أنت هنا.. !

الظلم ليس له مقاس كي تقيس به صدى الظلام ، الظلام له مقاسات عدة ، فكثير من الظلام يدعى رحمة و راحة و نوم و غفوة و رقود و سهر و سحر و قمر..

الظلام إن كان في هودجه قمر فهو دليل المسافرين إلى الله ، فالله لا يحتاج إلى راحلة حتى ترحل إليه ، و لا يوجد له أبواب و لا أعتاب و لا حراس و لا حاجب ، هو الذي لا تأخذه سينة و لا نوم ، بيده مقاليد كل شيء ، حتى لا تغتر في ما يجري من ظلم و ظلام ، يد الله تليق بجماله و كماله و كيفما خطر الله ببالك فالله بخلاف ذلك ، عليك أن تكون ككريم في رؤيته لله..

على أطراف القرية هناك الحانات التي يشرب بها الخمر و يعصى بها الله ، إن معصيتهم في نظر كريم أخف ضررا من الجماعة المتنمرة التي تحذر منهم ، ليس هكذا تورد الإبل ، لعل الإبل ضائع و تائه يسير بلا صاحب و لا حارس و لا ملك..

إبل كالعقل البشري الذي فك كل القيود و راح يجدف فيما يريده هو لا كما يريده بقية الخلق ، يتسلل صاحب كريم من مخلده إلى بيت كريم ، كريم في أيام الصيف ينام على السطح بجانب أخوته ، في فراش واحد

و غطاء واحد يلملمون شقاء حالهم و تمتد نفوسهم تسحب الهواء الطلق من فوهة السماء ، إنه الصيف و غدا عطلة..

أي أنها ليلة الجمعة ، هذه الليلة الحارقة التي يتصبب بها الناس عرقا لم ينم كريم ، يراقب حركة السماء و النجوم و بزوغ القمر و بعض الكثبان الغيمية التي لا تسمن و لا تغني من جوع..

جائع كريم لم يشبع من العشاء ، لقد ألتهموا أخوانه القصعة بأكملها و لم يتركوا له سوى القليل ، عرفت أمه بأنه لم يشبع ، تداركت هذا المنوال :

هل أصنع لك مزيدا من الطعام **!؟**

الأم المرهقة التي جلدتها طلبات الأبناء ، و غير ذلك كانت في الحقل تقطف الطماطم مع زوجها ، و إعداد الطعام و إرضاع الصغير ، و جمع الحطب من أجل خبز الصباح ، بت أسأل نفسي من هو الرجل يا ترى أبي أم أمي.. !

لا يا أمي أنا شبعت..

بسيطة الحياة جدا ، إلى أبعد ما تتصور أنت ، و لكنك أنت تتصور أشياء كثيرة و وفيرة جدا ، كأن تفكر بغيرك لو سهوا ، إنه نوع من السعادة أن تعطي مجهودا و لو صغيرا كي ترسم السعادة على قلب أحدهم ، هناك أشياء لا تحتاج لمجهود كبير ، فمثلا أن تقول لأبيك:

شكرا..

إنها لا تكلف أبدا ، إنها جميلة جدا ، و أجمل من ذلك أن تنظف طبق الطعام الذي تأكل به بنفسك و تدع غيرك يرتاح فقد قام بما قام من جهد و تعب كي تتلذذ بهذا الطبق ، و لو قلت له:

شكرا..

ستعرف كم أنت سعيد ، سعيد إلى درجة أنك كلما أكلت شيئا أو كان في جيبك منديلا متسخا كأن تضعها في سلة مهملات لا أن تلقي بها أرضا ، فلعل هناك من ينظف هذه الطرقات رجلا بعمر أبيك ، هل تخيلت أن تقول لهذا الشخص:

شكرا..

سيعرف بأنك قد مسحت بهذه الكلمة عرقه و أزلت من ظهره تعبه و أعطيته أكثر مما تتصور ، و لكن وأنت تتصور ابتسم للعدسة و من بعد ذلك ضع تلك الصورة في إطار جميل مزهر و لا تكون في هذه القطة وحدك ، فكن مع من تحب ، من تحب أنت و يحبك بصدق و لا تنسى أن تهمس بعد كل رفه قلب أحبك ، سيقول لك:

شكرا..

لأن الحب لا يضاهيه قائد فهو قائد الروح نحو الطمأنينة و الراحة و السلام الأبدي الذي لن تلقى له مثيل ، إن الأمثلة كثيرة لكل مثيل ذاك الصديق الحق الذي سار معك من الحياة دهرا صامتا راضيا بصداقتك إنه لا ينتظر منك مقابلا بقدر ما ينتظر منك كلمة:

شكرا..

هي للجميع كلمة و مثلا حي إلا ذاك الذي يأتي ليقظك في آخر الليل و يصرخ قائلا:

كريم ، كريم..

كالنجوم أنت تحوم في هذا الفلك الغريب ، هو ليس غريب أبدا ، و لكن الغرابة وصلت حيث الصمت من بشر ينصبون أنفسهم ربا عليك ، و ما عيك أن تبحث عن مفاتيح هذا القفص العالق في كوكب المليون منافق و منافقة ، عليك أن تشغل عقلك المتوقف عند الحقول الشاسعة ، أنت و عقلك أكبر من هذه العقول الشاسعة ، بل أنت أكبر من أن تحتويك أمة شاسعة و هي لا تفيد شيئا ، نفذ صبر صديقك و هو يناديك ، أمسك حصى و رمى بها حيث أنت ، و لكنك أنت تدور كمولي حول نفسك و حول السكتة البرانية التي تدافع و تنافح عنك.

يسقط الحصى على جبينك ، تنتفض من مكانك ، و تتساءل هل وقع قمر أو نجمة خافته على جبينك ، إنه صوت صاحبك خالد..

خالد من الفصيل الذي أتيت منه ، يشبهك في كل شيء ، بل هذا المكان المحموم بالبشر يشبهون بعضهم بعضا ، إن الآلة الزمنية تدور حول هذا الفلك المتآكل ، و لكن تطل عليه:

هلا خالد ، حول..

هوش ، يطلب منك أن تلتزم الصمت:

هل هناك شيء ، خير خوفتني..

يضرب صاحبك كفا بكف ، يتمنى لو أنك بجانبه حتى يربك كف:

يا زلمة لا ترفع صوتك.. !

تتعجب من هذا الطرح الخافت الضئيل ، و تهمس في فوهة الليل:

هل هناك شيء ؟

نعم هناك شيء يتنظرك حتى تكتشف العالم ذو الطبقة الثانية التي علموك أن تبتعد عنها و تقربها لأنها معصية من معاصي الله ، و المال الحرام يذهب و يذهب أله معه ، هم هكذا علموك و أنت أيضا لديك معلومة واقعية ، واقعية جدا تراها كل يوم تنهرك و تزجرك و تجعل منك فأرا حقيرا..

و لكن نفسك عزيزة ، و سقيت من مياه الصبر حتى ارتويت و غرقت بهذا المجال الحيوي ، و أنت تعرف بأن أبناء الحرام يعمرون في الأرض و يعمرون على شقاء غيرهم الأبنية الو حضارات و غير ذلك من أمور هي في عينك حرام و في عينهم ثروة ، أنها ثروتك و ثورتك التي لا بد من القيام بها على الإقطاعيين الذين يعيثون في الأرض فسادا ، و ما فائدة الأرض إن استفحل بها الفساد.. !!

دقق جيدا..

و لو أن هذه الكثبان البشرية استخدمت ما يسمى الواقي الذكري ! ، هل كانت هذه الصداقات هنا أو بلغة صريحة هل كنت أنت هنا.. !

إنه خالد ، صديقا صامتا يسير معك في كل طرق الشر و لا يغدر ، و أنت تنصحه دائما بالخير و لكن كأنك تسمع من في القبور ، هو هكذا ، و أكثر ما يعجبك به أنه بسيط و من أبناء طينتك و من نفسي الخليلة التي خرجت منها..

إنك منها و إليها تعود و من تبعث إن شاء الله من البسطاء المقهورين..

إنه صديق مقهور مثلك تماما و لكن هو يختلف عنك كيف ينفس عما في قلبه ، يغزو أحد أكواخ الدجاج في الحي ، يسرق دجاجة أو دجاجتين و يهرب حيث السهول البعيدة التي لا تصلح للزرع..

في الحقيقة كانت تصلح و تزرع و تسقى و يعنى بها ، و لكن ظلم أهلها لها سويت بها المظالم حتى مات ما بها من تراب حي ، ها هي ذا الآن بلا ساق و لا ذراع مبتورة من الظلم و الظلام ، ينهش مساحاتها السراق الذين يسهرون على كتفها بكأسهم و نبيذهم حتى مطلع الفجر..

إنه خالد المنفس الوحيد الذي يعجبك صنعه و كأنما ينتقم لنفسه من قسوة هذه الحياة و لكن بطريقته الخاصة ، إنه الفتى الذي مات في قلبه ما يسمى الندم ، أو التفكير بما اقترف من ذنب ، له نظيرة أخرى كأن يقول :

كلما قست عليك الحياة ، لا تلقي لها بالا ، بل الوي ذراعيها و اغتصبها حتى لو صرخت بأعلى صوتها ، دائما الحيات تغتصبنا فرادا و جمعا ، و تلقي بنا حيث الهاوية مع أناس يقتدون بالخير و تجبرنا على الخضوع لقوانينها ، تبا لقوانينها التافهة ، نحن بحاجة لقوانين أكبر..

مثلا البقاء للظلمة هنا ، و الذين يتردون ثوب الصلاح لا مكان لهم أبدا ، أو أن يرحلوا إلى كوكب آخر و يريحونا من صلاحهم ، دائما كانت الأسئلة تتراكم في فوهات دماغي:

هذه الحياة و ما فيها من بشر مجرد رذيلة ، و خلق الخير من بعده كي يتساوى البشر فيما بينهم بالخير و الصلاح و المعاملة الحسنة.. !!

يريدن أن يكون كل شيء لله!!

هل هذه مزحه مع البشر.. !!

حتى الخير أستخدم مصلحة و بان فساده ، تخيل أنا الآن لا أثق بالجمعيات الخيرة أبدا ، و مستعد أن ألقي أموالي فوق رأس راقصة و لا ألقي تعبي على تلك التجمعات الكاذبة..

لماذا كاذبة !؟

لأنك قليل خير و لم تعطي يوما لله ، أو لحرامية هذه الجمعيات أبدا ، أبدا لن تفهم هذه المعادلة إلا من بعد أن تفتح جمعية أو تكون موظفا في أحد مزابلها..

حديث أقذر من النفايات ، هذا الفصل بالضبط عندما أفتح سيرته على الورق أو عبر آلة اللسان أشعر بأنني حامل بتوأم و أريد التقيؤ في حوض زفت..

خالد صديق يسمع جيدا ، لعله يجد الحلول السيئة و لكن هو ليس سيء أبدا ، المجتمع جعله سيئا غلى هذا الحد ، خالد يتحدث ما يريد أمام كريم و لا يخشى من شيئ أبدا ، لأن كريم لا يحب الثرثرة و إنما مستمع و منصف جدا..

سؤل خالد ذات ليلة:

لماذا لا تسرق كل ما في الكوخ و تفعل حفل شواء **!؟**

في الحقيقة لا يحب هذه الأسئلة أبدا و إنما يحب أن يجيب عليها بكل فطنة ، إنه يرى أن جوابه فطنة و أنت سوف تستمع إلى إجابة غبية جدا ، و لكنني أرى جوابه جميل و دقيق:

أخوي كريم ، أنا ما بوكل حرام.. !

كريم لا يحب السخرية و الضحك من الآخرين حتى لو كانوا أغبياء فعلا ، كريم يصمت و يسمع و يرى وجهة النظر:

و لكن السطو على أكواخ الدجاج حرام.. !!

خالد ليس غبي جدا ، و لكنه متغافل لسلسلة الأحداث التي تدور في هذه المدينة:

أخوي كريم ، هل تعتقد أن حياتنا هذه التي نعيشها ، في وقتنا الراهن الذي نموت فيه ذلا من الإقطاعيين حلالا مثلا !؟

كريم يصمت لا يعرف ماذا سوف يجيب:

و لكن الله سيحاسب الظلمة !؟

خالد يشتد عصبية:

متى!

كريم بكل مرونة:

إن لم يحاسبهم اليوم ففي يوم القيامة !؟

خالد:

تيقن يا أخوي أننا لن نذهب إلى الجحيم ، هل تعتقد بأن هناك جحيم أكبر من هذه المدينة !؟ ، هل الله فعلا يرى جور الإقطاعيين و الذل الذي يلقاه أهل المدينة من عذاب و عقاب مقابل أن نعيش كراما و لا نمد يدنا لهذا و هذا..

لا يا سيدي نحن قتلنا الجوع ، اهترينا ، أذابنا الفقر..

إذا سيحاسبني الله على دجاجة هي في نفسي فلن أعبده بعد اليوم..

أشتد غضب خالد و بانت عروقه:

وك روح شوف الناس كيف عايشه مو زينا عايشين عيشة نور ، و أقسم بالله النور يلي بمدينة الزرقة عايشين أحسن منا ، شو بتفكرنا عايشين !؟

كريم يريد أن يمتص غضب صديقه:

طول بالك يا أخوي مو طالع باليد حيلة.. !!

خالد في موجهة الكلمات المستفزة ، الله و العادات و التقاليد و الشريعة و القانون:

شو يعني الله ترك العالم كلها و دق برقبة أمنا ! ،مشان الله يا كريم حل عن ربي ، قسما بالله مو ناقصك أنا ، بتفكر أني قاتلني الجوع لحتى أسرق جاج و أروح على السهول أشوي بآخر الليل ، و كل قسما بالله لو أعطونا المنطقة جاج ما بشبعني غير لحظة وحدة بس .. أني أعيش دقيقة وحدة بكرمة و أحس حالي أني بني آدم..

أبناء آدم هم ضحيته ، و أمهم حواء شريكة في الجريمة ، و لأن العقل هو صدر إلهام و شهوة و لذة و ذوق فعليك أن تكتشف هذه الحياة بنفسك و من المنظور البحثي المتطور ، لا يكفي أن تتوقف عند فواصل الآخرين و تقول هنا سوف تنتهي الحياة ، لا تموت بجلطة شرعية أو سكته قانونية ، أكتشف ذاك السراب الذي منعت منه و جدف حيث النور ، لعل النور الذي تعيش به مجرد ظلام..

العقل الكرامة و الحرية أشياء مرتبطة ببعضها البعض ، هناك موانع و حواجز تمنع من التكاثر و التناثر هنا و هناك من أجل أن يقال أن لدينا جمع غفير و نحن كثر ، ما فائدة الأغلبية و هي لا تساوي ربع دينار !؟

الأغلبية ليست اليد العظمى كما تظن ، الحكمة الحنكة و العقل هو الدستور الوحيد الذي يجب أن تتبعه حتى لو كنت وحيدا ..

دقق جيدا..

و لو أن هذه الكثبان البشرية استخدمت ما يسمى الواقي الذكري ! ، هل كان خالد هنا أو بلغة صريحة هل كنت أنت هنا.. !

ننطلق في ذاك المساء الفض من حركة البشر حيث البساتين الشاسعة ، و الحقول المهجورة ، سرقت ثلاث دجاجات من أحد أكواخ المدينة ، إنا السلب هنا و السرقة مهنة اعتادها أبناء هذه المدينة ، ليس عيبا أ، تسرق و لكن العيب أ، تسرق و لا تخبر أحدا حتى إذا جاء الموت سد أهلك ما سرقته من دجاجات..

يا سكان الدجاج الذي يبيض ذهبا ، لا ذهبا هنا في مؤخرات الدجاجات النقاقات اللواتي لم يشبعن من بقايا فتات البشر ، أسمعوا و عوا فإن الذي ترجونه غير واضح عليكم أن تبحثوا عن قضية تؤويكم و تعود عليكم بالنفع و الخير و البركة ، و لكن البركة مسلوبة بيد سراق الدجاج الحي ..

كريم..

نعم ؟

ماذا تنتظر هيا بنا ، تعال و انزل كي نذهب سويا..

كريم يمشي على أطراف أصابعه ، يهرس الأرض هرسا كي لا يسمع له دويا ، يتجسس على منافذ الغرفة التي ينام بها أبيه و أمه..

ضوء الغاز الصغير يشتعل بكل خوف من إظهار المشهد في غرفة الزوجين ، الحب هنا جريمة ، و الجنس جريمة ، عليك أن تكون من أصحاب اللحى أو تكونين منقبة كي تنزل عليكم الفضيلة..

أمي لم تكن منقبة و لا متمسكة بالصلاة أبدا ، و لكنها لا تكذب و لا تخدع أحد و لا توهم العقل البشري في الطرف الآخر بأنه غبي أو أنه في جهنم و هي في الجنة ، أمي لم يكن عندها ما تملكه لا ذهبا كبقية النساء و لا أرضا و لا أثاثا و لا بيتا ، إنه كبقية الأدوات المنقولة التي يملكها الرجل هنا ، و لكن نسوا أن يتوارثوا النساء بالوراثة..

طز بالأمة الغبية..

أمي كانت تأتمر لأوامر أبي حتى و لو كانت غير مقتنعة بها ، و لكن بها من الصبر و القهر ما لم يراه و لا يسمعه و لا يتفوه به أيوب..

أيوب الذي كان مضربا بالصبر و شدة التحمل لم يتطلع على حال أغلب النساء في المجتمع العربي ، أيوب لم نعرف ما هو الصبر الذي صبره و لكن تواردت إلينا بعض الخيالات أن صبره لم يتحمله أحد..

لا يا حبيبي هناك صنف ليس بأنبياء و لا قديسين و لا أولياء ، أناس يطلق عليهم صفة أنثى ، زمرة من زمر الدم الغير موجودة أو بلغة أصح شيء نادر لا يمكن أن تستوعبه أبدا ، و لكن كل يوم كنت أحاول أن أستوعب شيئا من هذا القبيل ، بل من المشاهد التي تتراكم على عاتقها أمي ، الجنة التي تؤمنون بها لا يمكن أن يدخلها صوام و لا قوام و لا

ساجد و راكع و طواف بأستار الكعبة ، إن الجنة وجدت لنساء سقط على عتاقهن الشقاء و البلاء و لكن أنتم لا تعلمون ، و أنا الذي اعلم ما يجول في أروقة البيوت التي لا يعلم مدى خور جوعها إلا الله..

نحن ليسنا جوعى خبز و ملح.. !!

الذي قال لك هذا الشيء و حاول أن يقنعك أتفل في منتصف وجهه و أخبره بأن ما خفي خلف تلك الجدران المتشققة أشد بلاء..

على سلم الهروب أهبط ، غرفة أبي و أمي التي يتعاشرون بها يكسوها ضوء خافت ، هل هم إلى الآن لم يناموا ، إنها ليلة الجمعة أو ما يسمى الخميس..

ليلة إبليس..

إبليس براء من كل لياليا ، إن إبليس المتغلغل في أحشاء وجدانكم لهوى خيال و كذبة صدقتموها من غير أن تبحثوا عن الدليل ، خرافة ورثتموها كابر عن كابر و من جاهل عن جاهل ، إن إبليس هذا نوع من العلاقات كي يعلق عليها بني البشر أخطائكم..

الخطأ أغرقكم حتى لو تمسكتم بصليب المسيح ، و كذبة تلوى كذبة حتى وصل بالعقل بالشري إلى منعطف الصمت الداكن الذي لا يريد أن يتغير ..

هم هكذا ولدوا حضائر الصمت و أكلوا مع البقر برسيم الجهل ، إنهم في مراعي الحياة ينقلون الخرافات من أحمق إلى أحمق ، كأن هذا العقل عبارة عن آلة لتصدر لنا الخرافات و الماضي و الأوهام..

يكفي.. !!

هذه الكلمة التي يجب أن تقال في وجه هذه الصناديق المغلقة المحشوة بالتبن و الإسمنت و بعض بول إبليس ، هل رأيتم ، إبليس أخذ عقولكم و جردكم من الغوص في ماهية النصوص ، إن إبليس هذا الذين تحذروه و وضعتموه شماعة لهبوطكم على وجه الأرض لهو الكذبة لكل عام ، تتداولون ذكره في محاربكم و صوامعكم و حول كعبتكم و على حائط مبكاكم و تحت صلبانكم و أمام كل منعطف فجر و قبل أية دنو للشمس و في الخروج و في الدخول و قبل الخلاء و بعد الخلاء و هلم جرا من كل حركة..

هل إبليس مرعب إلى هذا الحد يا أيها العقول المخادعة المنكرة لماهية العقل و مداركه و سلوككم اليومي ، واو إنه فعل تعجب و استغراب و دهشة ، عليكم الدهشة يا صناديق اللحوم الصناديق المعلبة بالأوهام و الخرافات..

لا أعرف كيف تم السيطرة على العقل البشري ! ، لا أعرف كيف تم تصديق كل هذه الأفكار الكاذبة التي لا تمت للعقلانية بأي شيء ، هل أنواع الأغذية و مذاقاتها و توابلها و الصوص المضاف إليها له علاقة

بين فهم النصوص و الأخذ بها على محمل الجد من غير أن يناقش بأمر النص فقط لأنه منزل من السماء.. !!

و ما أدراكم بأنها منزلة من السماء ، لو نطقت السماء لبالت على عقولكم التي لا تسمن و تغني من جوع ، إن هذه العقول لو عادت عقارب مسارها إلى مكانها الحقيقي من غير أن يؤخذ بالنصوص على محمل المسلمات إلى النور و التبصر لوجدت بأن الأرض قلبت جنة..

إنها جنة هذه القطعة الملتحمة بالطبيعة الخلابة و لكن أنتم جعلتموها جهنم بخرافاتكم و أهوائكم ، أشاهد هذه الجماجم التي تقاتل و تحاب من أجل قضية بعيدة كل البعد عن العقل البشري ، و بل إنها محض وهم و خرافة كيف تباد و تقتل و تقتل و تجعل من الأرض واحة من الدماء..

أراهم من قريب و من بعيد يتصنعون بكل ألوان الكذب و الحقارة و الدناءة ، أراهم في مواقع التواصل الاجتماعي و في وسائل النقل العام و الخاص و خلف شاشاتهم النقالة و في الجامعات و المدارس و دور العلم و الجهل ، أراهم في المقاهي و الأسواق و دور العبادة و حتى في دور الفجور كيف يتداولون أصعب عملة في العالم ، ألا و هي عملة الوهم و الخرافة.

دقق جيدا..

و لو أن هذه الكثبان البشرية استخدمت ما يسمى الواقي الذكري ! ، هل كان أبي و أمي هنا أو بلغة صريحة هل كنت أنت هنا.. !

بعيدا عن هذا الكون أريد الهروب إلى كون آخر ، لا يسمى كون بل له أسم خاصا به ، على ما يبدو بأن هذه أمنية كل شخص ، أن يهرب من واقعه إلى حفرة خرة..

يعني لو تصفن بالوقائع التي من حولك لن تجد أخرى من هكذا وضع ، يعني في مؤخرة الحفرة التي يسيل بها القاذورات ، أبي و أمي قد سلموا زمام أمورهم لكل ما هو مسلم به ، لهم نظرية خاصة بهم لا أعرف من أين استندوا عليها ، المهم وجدوا لشقائهم مسندا كي لا يفكروا به ، و لكنهم هو شغلهم الشاغل ، يعني بكل صراحة كل ما فتحت في وجههم باب أن ارتقوا و فكروا بمشروع ينفعكم ، تجدهم قد تغيرت وجوههم و كأنك وصفتهم بالأغبياء ليعطوك تلك الكلمة:

نحن على قيد الحياة و ما شاء الله عنا..

عنا نحن لا هم ، عنا غير عنكم ، عنا آكلين الهوى بس بطريقة مبسترة ، يعني كم سنة و طول بالك راح تشوف أنو الحكومة سترفع ضريبة على استنشاق الهواء الطلق ، و ستنصح الحكومات أن عليكم بالهواء المبستر..

يلعن أبو هالحياة..

أبي و أمي في تلك الليلة يتنافسان على تلك اللذة و النشوة ، أهبط من السلم من غير حذاء ، الحذاء لم يتبدل من سنة و نصف ، إنه للعمل و للخروج مع خالد و أتمشى به الحي و أنتعله ذاهبا إلى العم أبو فلاح صاح الدكان الغشاش ابن الغشاش و أصطاد به بعض العصافير و لي فيه مأرب أخرى ، أنت لا تعرفها بل أنا وحدي الذي يعرفها..

ألف مرة قلت لأبي أريد حذاء ، بكل بساطة يجب أن أنتظر للعيد ، العيد ليس لنا يا حبيبي ، العيد لهم هم فقط ، نحن في العيد نتعارك على علبة الحلوى و ما إن انتهى أول يوم من أيام العيد حتى صعدت أرواحنا إلى السماء..

كأنه مقدر لنا أن لا نجتمع في البيت ، لأننا إذا اجتمعنا فسوف تقوم قيامتنا..

علبة الحلوى ليس لنا يا أبناء.. !!

يتدخل أخي الصغير قائلا:

إذا لماذا هذا العيد و لماذا قمتم بشرائها. !!

يأكل أخي الصغير لطمة على وجهه من حيث لا يعلم من كف أبي ، يجعله صرعيا على الأرض:

لا ترفع صوتك في وجه أمك.. !!

أبي الذي كان و لا زال كل يوم يأتي من الحقل ليجد أمي و يضع كل شقاء يومه عليها بالسب و الشتم و الصراخ و هلم جرا من أمور أنتم أعلم بها ، المرأة في هذه المجتمعات عبارة عن:

ممسحة..

ممسحة لكل أهل البيت و الذي سوف يتبجح بالقيم و الأخلاق و أنا المرأة أخذت حقها و زيادة أتفل في وجهه و قل له أنت كاذب..

لم يبقى أمرة لم تذق طعم الكف أو العصا أو الخيزرانة أو حزام الجلد ، و إن مرت من مسلسل الذل هذا فإنها لن تفلت من لعنة التفل أو الصراخ أو السب أو الشتم ، و إن أفلتت من هذا البؤس فإنها سوف تقع في ألسنة الناس .. يعني يا حبيبي:

إن تسترت سيقولون عنها منافقة ترتدي رداء الدين كي تتخفى به من فسقها و فجورها ، و إن تحللت فل تنجوا من وصفها بالعاهرة وبنت الحرام و أقل ما يقال بها بلا تربية ، و إن كانت طبيعية بتصرفاتها و أفعالها فسوف يصفونها بالوقحة و أم أربعين لسان و سوداوية و مكتئبة ، و إن صمتت ولاذت في بيتها و لا تعرف من هذه الحياة سوى بيت أبيها و بيت زوجها و قبرها فسوف يقولون عنها بأنها معقدة و مريضة نفسية و بحاجة إلى طبيب كي تتفكك من هذه العقد..

أنت في مجتمع ابن كلب بكل جدارة..

و لأنك أحد هذه الجراء التي تعوي بكل براءة فعليك أن تكون نجسا نجاسة مغلظة كي تنجو من هذه الرقعة التي تدعي الفضيلة و هي في بؤرة الرذيلة..

عليك أن تمشي و تتماشى مع ما يدور في أقبية البيت ، يعني أن تسمع أمك تضرب فعليك أن لا تتدخل أبدا ، عليك أن تسد أذنك بفلينة خرا و تكون ذاك الديوث الذي يقول هذا أمر عائلي بين أبي و أمي..

يلعن أبوك على أبو أمك..

دائما ما تجري النهايات مع الرجال في المواقف التي تدار بين الزوج و الزوجة بأن تضرب المرأة ، لأنه يعتقد الرجل بأنه وصي عليها ، و أن أهلها باعوها مقابل مهر لا يسمن و لا يغني من جوع ، و أن كل الرجال الذين يضربون زوجاتهم أغبياء ، هل تعرف لماذا.. !

لأن الرجل عندما يرى أن الحوار مع هذه الأنثى هو فتل لعضلات المخ ، و يرى بأنه مهزوم أمام لغة الحوار يستعمل الكف و الضرب ، إنه لا يتحمل أن يرى نفسه مهزوم أمامها لأنه بكل صراحة نسي المجتمع أن يكتب على مؤخرته القاحلة:

حمار بامتياز..

و لأنثى عندما ترى الضرب قد سقط على وجهها و كل جزء يلوح بجنبها ، تستسلم له ، لأنها يوم أمس كانت بمكالمة هاتفية مع أمها و أبيها:

كيف معاملة زوجك معك يا بنتي.. !

و الله يا أنه من أشجع الرجال و أفضلهم مودة و رحمة.. !!

أنتيه إلى الأيمان المغلظة التي يحلف بها هذا المجتمع الغبي ، و الإيمان تمتاز هنا بتشديد الأحرف حتى يؤكد للمستمع أن المتكلم صادق..

كيف سوف تذهب الآن إلى بيت أهلها و تخبرهم أنها أكلت عنده طعم الكف أكثر من طعم الخبز ! ، كيف سوف يظهر وجهها أمام أبيها ! ، إنها في الحقيقة تخاف من كل شيء..

أن يقال عنها إنها أنثى تضرب ، لا تريد أن ينتشر صيتها بين النساء بأنها أمرة تأكل السوط اكثر من مرق اللحم.. !!

المجتمع الأنثوي هنا صابر جدا ، صابر و لن يتراجع عن غبائه ، لا ثورة هنا للنساء ، فكل الأبطال رجال أبناء رجال بامتياز ، بطولة النساء هنا فقط تحت مسميات مثلا:

نظيفة في بيتها جدا ، أي تصلح أن تكون خادمة منزل.

تطبخ جيدا ، عليها أن ترى مطعما كي تطعم البشر.

ربت بيت ، خرج تكون بيبي ستر.

و أما البقية في معلبات البيوت للضرب و السب و الشتم و التبول و مماسح للذاهب و القادم ، و حتى الأبناء هنا يتقنون فن العقوق ، و لكن لدينا ماركة أكبر مما تتصور .

دقق جيدا..

و لو أن هذه الكثبان البشرية استخدمت ما يسمى الواقي الذكري ! ، هل كان الجار هنا أو بلغة صريحة هل كنت أنت هنا.. !

أنها المعاشرة الحرة التي تعني بأن تكون أو لا تكون ، إنها الرجولة و معركة ذات الفحولة هنأ ، أرى أبي كيف يرتفع و يهبط فوق جسد أمي ، أمي التي لا حول لا و لا قوة في حضرة هذا الرجل و في غيابه ، حتى تعرف ما معنى أن تلفظ كلمة أحبك.. !

هل هو مشغول إلى هذا الحد من الجنون حتى لا تراه إلا في ليلة الخميس ! ، لعلها أيضا تنتقم لنفسها على هذه الحياة التي تخطتها قهرا بثقل هذا الكون مع هذا الرجل الذي لا يعرف طريق الحب إلا في يوم الخميس مع أنثى جسدها بارد و مشاعرها مبتورة ، و قلبها قد جف به مياه الحنان ، حتى أنني لم أرها يوما تمسح بكفها على رأس أحدهم.. !

من أحدهم ؟

أولادها.. !!

نحن معاشر الكتل اللحمية التي تبحث عن حياة تليق بعاستنا الجرباء ، كالجراء حولها نتحسس عن رائحة حياة ، و لكن الحياة ليست لنا ، أو لعلها هذه هي الحياة التي ركلتنا و ركلت أنثى في حجرة رجل يقتص من نفسه و يقتص من هذه الدنيا و من هذه الأنثى التي تدعى زوجة..

إنه يحركها كما هبت رغبته و حيثما حلت و حيثما ارتحلت ، و أينما اتجهت ، بشر من كوكب الحقول و التعب لا شأن لهم في هذه الحياة سوى أشارة التحكم حيث يريد الإقطاعي..

أنه يريدهم عبيد ، يسير بهم حيث يريد ، و أنظر إلى الجماجم الممشوقة المحترقة تحت أشعة الشمس كل يوم ، كل يوم تساق هذه الجموح حيث الهاوية ، لا أعرف كم عقل صف فوق رأسه اليأس من أجل أن لا يحيا و يحيي الأمل فيهم ، و لكن الأمل هنا علمة صعبة جدا تريد أن تموت معهم قهرا حتى لا يخرج صوتها..

لأن صوتها حرام علينا في يومن هذا في شهرنا هذا في بلدنا التعيس هذا ، و أنت هنا هذا كأي هذا من الرؤوس المتعفنة الجاف بها نبع التدبر و التعقل..

إنه جاري الذي قاتل بشر ، جاري الذي حل بيته كمأوى للذين يحبون الأوراق الصفراء و المتوازنة و المتزنة التي لا تعرف السطو ، و لكن سطر حياته كما يريد هو و يهوى..

جاري الفقير التي أبت أمه أن تلقي به في الحقول التعيسة..

باعت كل ما تملك سوى بيت صغير لها يؤويها ، و راحت تعمل في الحقول طوال الليل و النهار كي تنفق على ابنها اليتيم..

كنت أتساءل عن هذه المرأة العجوز التي تقدم لها مئات من الرجال طمعا بثروتها و بجمالها الأسمر و بشخصيتها القوية ، كانت تدحرهم و ترعبهم فيهربون كأنهم من قطط الأحياء القذرة..

هل فعلا هذه المرأة حافظت على قسوتها ! ، هل مارست الحب سرا أم إنها صبرت و تحملت قسوة الدهر و العمر و الحياة و الوحدة.. !!

أليس ظلم هذا الذي فعتله بنفسها ؟

إنا أجابت عن نفسها ، إن الأجوبة دائما جاهزة ، يعني ديلفري يا حبيب الوجبات السريعة:

الحرة ما يصيبها ضيم.. !!

إنها دهاليز المرأة العربية التي تتبجح خلف القوة الكاذبة ، إنها ليست قوة و إنما حفاظا على شيء هو أعلم بها ، إنه تريد أن تحافظ على ابنها الوحيد.. !!

ابنها الذي رأى المدن الكبيرة المحمومة بالبشر و الازدحام وركب ما يسمى الطائرة و سافر حيث يريد بل كما تريد أمه ، إنه معلق بها كما هي معلقة به..

و إن هذه العلاقة كان يضرب بها المثل..

جاري الذي سينتهي من دراسة الطب في نهاية السنة ، تلك المهنة التي كنت أحلم بها ، و لكن لا مكان لأحلامك هنا ، لا الأم مهتمة و لا الأب يريد .. أنهم يريدونك أن تعمل فقط ليلا نهارا كي تسند تعبهم ، في كثير

من الأحيان أعرف بأن سبب وجودي هو أن أسند ما تبقى منهم ، لا يهم أنا ليس من الذي يتخلى عن أهله حتى و لو أنكروه..

مرغما عن أنفك و انف أبيك أن تتماشى مع هذه المشاهد ، جاري الذي كنت أحب قدومه و سمته و بسمته و بساطته و طريقه الذي يشع نورا ..

قميص أبيض نظيف و بنطال أسود بسيط و خفيف ، يحمل حقيبة سفر كلما قدم أو آب ، تجلس المسكينة أمه في موقف الحافلة تحت أشعة الشمس كي تقله معها على الحمار ، إنه لا يستحي إن ركب حمارا أو ركب بغلا أو مشى حافيا أو منتعلا..

إنه لا يخجل بأنه من أبناء هذه البلد التي تولد العبيد لأبناء الإقطاعيين ، و لكنه يفخر بأن له أما مهدت له طريق الحرية ، الطريق الذي يعرفه الكثير من البشر و لكن لا يريدونه لأنه محفوف بالمخاطر.. !!

يمة على المخاطر.. !!

الذي يقرأ كلامي من العبيد يعتقد بأنه في قمة الحرية و انه يعيش في السويد أو أنه يعيش بعيدا عن المخاطر يا خاطر ، هذه المساطر التي تسيطر على الذاكرة و على المشاهد اليومية الذين يهتفون بسم الجزارين ..

نهايتهم حيث ينتهي جزارهم.. !!

صدقني أنا هذه الحشود البشرية التي لا حول لها و لا قوة ، لن تسامح من صدر العبودية إلى قلوب الشعب..

إنه جاري مشروع طبيب ، و لكنه يستحق أن يكون طبيبا ، لجمال توضعه ، عندما يصل البيت نشتم رائحة الخبز بالسمن البلدي و البط المشوي و الحمام المحشي و التوابل التي تحرق الأنفاس و تشل الأمل ..

أمه التي زرعت به الأمل و سارت به حيث النور و بقية الأمهات هنا وجدن من أجل أشباع الغرائز و دحر أنسهن في فراش العبودية و القصاص من الذات و الجسد و التعب النفسي..

لم أرى أمي قد وضعت على وجهها أحمر شفاه أو عطر نسائي ، و لكنها داست بالطين بقدميها ، و أيضا حملت الحطب على رأسها و أيضا كانت تعبأ روث الحمير و البغال و البقر و تحمل به حيث البيوت المهجورة من أجل أن تجعل منه حطبا للشتاء..

إنها أنثى باردة جدا ، بعكس أم الجار تماما ، أنثى بنت مجدها بمستقل أبنها ، و هناك إناث لا يصلحن للحيض و لا للبيض و لا للفراش و لا للنعاش..

جاري الذي يجلس بعد كل عصر في وقت عطلته مع أمه على حافة البيت يسامرها و يضاحكها و يرى بها الحياة و ترى به المستقبل ، و

كل له وجهته في النظر إلى النور ، و لكن نورنا دخان بحاجة إلى مماسح أحذية.

دقق جيدا..

و لو أن هذه الكثبان البشرية استخدمت ما يسمى الواقي الذكري ! ، هل كان مولانا هنا أو بلغة صريحة هل كنت أنت هنا.. !

لا زال خالد ينتظرني ، و أنا أيضا أتجسس و أتحسس المكان و الزمان كي اهرع إلى الحرية ، حيث سنلتهم الدجاج المسروق في تلك الحقول المهجورة ، إنها ليست مهجورة و لكنها إنها عامرة بعظام الدجاج المسروق و لكن لا تعلمون..

كنت أضحك من تلك المقارنات المعمول بها في معامل الكذب و الخداع على الذات و لأن الذات جنديا من جنود الله عليك أن تحترمها لأنها مأمورة و أنت ابن حشرة حقيرة..

هكذا تعلمك الحياة عندما تكون ضدك ، هكذا عليك أن تفعل ، ما عليك إلا أن تكون ابن ستمئة حرامي و كاذب و مكار ، لأن القسوة ليس كما تظن بل كما نتناوله هنا نحن أبناء الطبقة المسحوقة..

لم يبقى ثقب منظمة عالمية كانت أو حرامية إلا و جربت بنا ، نحن الجرذان أبناء الجرذان الذين لا تقوم لهم قائمة ، قائمتنا أن نكون عبيدا كي يرضى علينا المجتمع المدني الشقيق ، و رضانا تبا له من رضى ..

أهرب بسرعة من الباب تاركا ذاك السيناريو الجميل بأسلوبه القذر في حجرة أبي يمارس الحب مع أمي ظلما و عدوانا و بغير علم لأحد..

معركة ذات الفحولة ، معركة الأسرة أو الأرض المبتلة بالنشوة ، إنها المعارك الفائزة التي يرضى بها كلا الطرفين عن شهوته أو لعله لن يرضى بل إنه يهوى تلك النشوة التي أودت بحياتي كثير من النطف إلى هاوية الحياة..

لا حياء لمن تنادي ، مولانا عائد من السهرة في مضافة الإقطاعيين ، محموم بالأفكار الشيطانية التي تساعد الإقطاعين على استعباد الناس شرعا ، على شريعة الله و سنة نبيه رسول الله.. !!

إنها المهنة الأكثر حماقة و غدا و حقارة ، أن يتخذ الدين مصيدة للعقول الغبية و من ثم استعبادها بطريقة مدبرة بين السلطان و العالم..

إنه عالم محصن بالفطرة على السمع و الطاعة من أجل مقابل شخصي الرتبة و المنصة و الحماية ، جل العلماء الذين يرتدون رداء الدين يلعبون في الماء العكر ، الإخضاع و سد منافذ العقل حتى يسيطر عليه بطريقة غبية جدا..

طريقة غبية بل أغبى مما تتصور ، مولانا القادم من بين الأزقة العتيقة يحمل في يده فانوسا كي يرى الطريق ، إنه هو و فانوسه و أفكاره و كل ما يحمل من علم يسيرون في ظلام دامس حتى لو أشتعل له الكون نورا..

نور ذاك الذي نبث عنه كأن يكون في هذه المدينة مدرسة تهتم فعليا بأمر الطلاب ، تحفزهم على العلم و تفتح لهم مدارك العقل و سبيل الحكمة ، هل ترى هذه المدينة كيف تبنا به البيوت!!

كسر الله أيديكم على هذه الهندسة النشاز ، بيوت من طين وحجر و قش ، لا دعائم واضحة و لا وجهة يظهر صلاحها من فسادها.. !!

مولانا الذي بنى ذاك المسجد من عرق أبناء القرية و بنى له بيتا يليق به و بأبنائه و بأبناء أبنائه ، الجميع يعرف بأن الأرض التي بني عليها كانت مغتصبة لأنثى بسن هذه المدينة ماتت في أحد الأزقة بعد أن فقد عقلها ثلاث سنوات ، كان أبناء الأحياء يمشون خلفها و يصفقون و يلقون عليها الحجارة:

جنية ، جنية ، جنية..

مولانا يعرف بأنها جنت بسبب أنا رفضت أن تعطى هذه الأرض لأية وقف ، و لكنه دس سمه في آذان الناس بأنها مجنونة ، و عندما تنمر عليها البشر و لقبوها بالجنون من غير مراعاة أحد فقدت المرأة عقلها و صارت الأزقة فراشها و حرارة الشمس غطائها ، وحيدة تسير لا ابن و لا أحد..

الله وحده أعلم ما بها ، و عندما تأكدوا أنها فقدت عقلها ، تخالصوا في مجلس أحد الإقطاعيين و أحضروا للشيخ ورقة تسمح له باستباحة أرضها و أعمار عليه بيتا لله و بيتا له..

إنه وقفا لأبناء المسلمين.. !!

بالله عليك أين هم المسلمون ؟

هل الله رضي بهذا المشروع الذي حيك تحت الكواليس ، و في ليلة فقدت فيها الضمائر و الخوف من يوم الحساب ، إنهم يحسبون ألف حساب لكل ما هو دون الله..

الله وحد يعرف كيف سيأخذ حق تلك المرأة يوم يجعل الولدان شيبا ، شابت قلوبهم من الرعب قبل أن يصل الشيب إلى رؤوسهم..

رؤوسهم التي لم تهبط للحق يوما ستكون في منتهى الذل يوم الميعاد ، و لكن يؤخرهم إلى يوم تشخص به الأبصار ، هذا الإيمان الذي يصبرنا ، نصبر على كل شيء ، في أغلب الأحيان ليس إيمانا و إنما أضحينا كالحجارة أو أشد قسوة تماشيا مع الواقع و العجز الذي الحق الضرر بالعقول و الضمائر..

مولانا الذي أراه من بعيد يسر خوفا من الظلام و من الله و من الواقع و من المجتمع و من الإقطاعيين و من وحوش المدينة..

لا وحوش هنا سوى الشعب ، و لكن الشعب أعجبته لعبة العبودية التي ما سألنا أحدا منهم كيف حالك !؟

يجيب و حالته يبكى لها:

عايشين.. !!

هذا الشخص إذا وجدته و أجابك بهذه الإجابة أقتله و أدفنه في قعر الأرض و لا تشفق عليه لأنه لم يشفق على نفسه و لا على روحه و مشاعره ، هذه الشعوب مسلوب منها شيء أسموه المشاعر ، شعوب مستسلمة لمولانا و للسلطان و لله..

لو قلت لهم لدينا هذه الليلة أمسية دعارة!!

صدقني و من غير مجاملة لأتوا إليها زحفا و هم راضين..

مستعد أن يرضى بأي شيء ، أي شيء يقلب صفحة يومه و بأية وسيلة ، و كأنه وسيلته الوحيدة أن لا يشعر بما يفعل في أجزاء يومه.. !!

مولانا ابن الحرام..

هكذا خالد يدعوه ، يراه من بعيد خائفا من الليل و من ضميره و من الله ، يرتجف في ليلة صيفية:

شوف من أجانا !؟

خالد توقف عن الكلام السيئ لا تريد أن تشاجر آخر الليل مع هذا الرجل ..

خالد لا يستمع لأحد:

شوف شوف يا رجل ماشي مثل الغراب..

خالد أرجوك لا نريد أية مشاكل..

خالد رأسه قاسي حتى طل مولانا بوجهه المحمر:

السلام عليكم يا شباب..

خالد يشتعل غضبا:

الله لا يسلم فيك و لا عظمة ، من وين بدو يجي السلام و راسك مليان خرا ، يا رجل روح الحجة المرحومة لساتها بتحوم بالحارات ، و الله غير الله يعلقك من شعر أجريك يلي ما بتخاف الله..

دقق جيدا..

و لو أن هذه الكثبان البشرية استخدمت ما يسمى الواقي الذكري ! ، هل كانت جدتي هنا أو بلغة صريحة هل كنت أنت هنا.. !

الخوف يكتسح وجه مولانا الذي لا يعرف خوفا لا من الله و من ضميره الممزق ، إنها حياتهم هكذا لا أي ضمير و لا ضير أنا يساقون إلى الربع الخالي من أنفسهم ، تجمعهم لقمة الحرام و تفرقهم الإنسانية..

هنا الإنسانية مجرد منها رغم أنف أبيك و أبي أبيك ، لا يمكنك التحدث عنها لأنك أحد ضحاياها ، هم وكلوا رجلا شبعان أو أمرة تصفق لهم في المحافل و تضاجعهم في مكاتبهم ، هم وكلوا عن ضمائرهم موتى الضمائر ، يخطبون على منابر صنعت من شقاء الشعب خطب التخدير و الحب و الأمان ، موهومين بهم لأن الأمان هنا مفقود جدا لأبعد ما تتصور ، هم لا يعرفون الأمان أبدا..

محاطون بما يسمى خوف ، خوف من كل شيء ، و لكنهم هم يجيدون التمثيل و أخذ الأدوار و يتفننون بها و تتعجب من حركاتهم المستديرة الملتوية التي تشي بأنها من فصيلة الحرباء..

أنه الخوف من الكلمة و الحركة و الموقف البائس الفقير الذي لا يسمن و لا يغني من جوع ، إنها معركة ذات الملاعق و الحشود التي تزحف حيث التخثر الدائم للقمة خبز أو صوت مسكن للأمعاء ، لا تلوموا

الشعوب التي قامت على حكامها ، إنها جائعة إلى لقمة خبز ، كسرة كرامة ، و سقيا حرية ، و تحليق في سماء الله..

ـ الله يا خالد مو عيب عليك هذا الكلام !؟

خالد متصلب و متعصب لا يحب الأحرف المائلة ، و لا الهفوات الزائفة :

ـ روح يا رجل قبل ما أرتكب فيك جريمة.. !!

حجزت بينه و بين مولانا الكاذب ، و لكن مولانا الكاذب فر هاربا حيث لا أحد يعلم ، إن الله يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور..

و سرنا حيث البيادر الخاوية من كل إنسان ، ضوء القمر يسير معنا و يلطم ظلانا اليابسة ، و نحن نزحف مع ذاك الليل حيث الهاوية ، و كأننا نرى بين تلك الأزقة ظل أنثى عجوز تتكأ على عصا باردة ، تلف رأسها بشماغ أحمر ، قصيرة مدببة تدب الأرض بعصاها و يدب بنا الخوف من رؤياها ، روح قصيرة الطول و الحياة أعرفها كلما سرنا إليها:

ـ وين رايح !؟

ـ رايح أشوف هذه الختيارة.. !!

ـ أتركها ، شو بدك بربها.. !!

ـ يا رجل كأنها جدتي!

نقترب إليها و تصيح ضاحكة:

ـ هي يا ولاد مين أنتو ؟

إنها جدتي التي لا تعرف من وجع المفاصل إلا العويل بصمت ، إنها من المعمرات في هذه المدينة ، خالد راح يمازحها:

ـ وين كنت بنصاص الليالي يا حلوة !؟

جدتي عن ألف رجل لا مست كرامتها أو أستهزئ بشيء من شرفها ، إنها غيمة ناعمة و لكن إن هممت حاولت الاقتراب منها جعلت من ذاتها أعصارا و ابتلعت الأخضر و اليابس:

ـ و الله يا جدة روح أسأل عمتك فتحية بالأول.. !!

فحية التي ذبحت قبل عشر سنوات بتهمة الشرف ، أبا خالد ذبحها بسكين المطبخ في أحد ليالي الصيف عندما عادت متأخرة من أحد البيوت في ذاك الزمان ، و لم ي:تفي أن تذبح فقط بل ذبح من شك بأنه كان على موعد معها..

في هذه المدينة الغير عادلة ستعرف أن سبب ذاك الظلم المحاط بها بسبب أهلها..

أهلها الذين لم يعتادوا على الإنصاف ، و أخذ الحق بالكلمة الطيبة ، هنا قبور لا يقف عليها أحد و لا يسلم على ساكنيها ، و لا يصلى عليها و لا يمشى في جنازتها ، تلقى تلك الجثة في الحفرة كأنها جيفة قذرة..

إناث بعمر الزهور تذبح بسم الدين و القانون و العرف ، لا أحد يجرؤ على أن يتدخل فيما بينهم ، الله له مقاليد السماوات و الأرض ، ظن

الناس أنهم أخذوا مقاليد الله كي يفتى بالذبح و تنحر الجماجم و على عينك يا تاجر..

تاجر الدماء

هو منا و فينا ، نحن نصبناه في هذا المكان كي يقيس لنا هوانا على قدر هوانا ، أتعبنا الهوى حتى أضحت أحكام من يحكمون بميزان العدل المائل لا يوزن به مثقال ذرة..

ـ فتحية وين كنت.. !

ـ عن الجارة أم صباح.

يركض والدي إلى بيتها فيجد زوجها في البيت ، يفتح الباب أنه أبا خالد :

ـ هلا بالجار ، تفضل.

ـ من عندك يا جار ؟

ـ و الله وحدي تفضل ، ما عندي حدى.. !!

تتشابك الأفكار في رأس الرجل ، يخيل إليه أنه أختلا بأخته ، أخته التي أوصاه أباه بالحفاظ عليها ، و لكنه ينهار عند كلمة ذاك الجار:

ـ لا تروح يا جار ، شوي و راجع أشرب عندك كاسة شاي.

هرع الرجل إلى المنزل ، هرعت معه شياطين الإنس و الجان ، و حمل سكين ذبح الفراخ و الغنم إلى غرفة فتحية ، كانت المسكينة تمشط شعرها..

إنه شعرها الأسود الذي لا يضاهيه شعر في تلك القرية الجبانة ، إنها جبانة لأبعد ما تتصور ، و لكنك لا تتصور بأن تجد في هذه المدينة ذرة عدل ، جميل ة فتحية كأنها كانت في قلب صندوق من ذهب و أخرجت منه ، شهية لذة للناظرين ، خلع الباب بلا حياء ، و سقط المشط من يديها..

يداها المصبغة بالحناء ، تحب ليلة الحناء في كل بيت عمر فيه عرس ، تخضب يديها و ترسم ما تريد على فخذيها كأن هذا الجسم هو مرسما لهمومها ، لم يبقى لها سوى أخيها الملوث بالغيرة عليها ، و يسحبها مع غبار البيت ، تصيح و لكن لا صوت هنا كي ينجدها سوى الرحمة ، لم تعرف ما الذي اقترفته ، و لكنها تحاول أن تقاوم ما به هذا ، لم يجرؤ أحد من أهل البيت أن ينجدها من سكين أخيها ، لعلها وصمة عار و نزلت في الحي..

أمام الله و أهل البيت و الجيران و الأقارب و الأباعد و من غير أن يسألها ، أو يستفسر عن ما جنت ، يمسكها من شعرها و ينحرها كأنها شاة..

تنحر و تسيل دماءها على وجهها و عينها تبارز عين أخيها الوصي عليها ، لعله أرتاح من همها و هدأت روحه ، و لكنه مسح سكينه بجنب بنطاله و طرق باب جاره أبو صباح..

دقق جيدا..

و لو أن هذه الكثبان البشرية استخدمت ما يسمى الواقي الذكري ! ، هل كان أو صباح هنا أو بلغة صريحة هل كنت أنت هنا.. !

إنه هنا يفتح الباب ، يمسك من خناقه ، و يسحب أمام الناس ، و يدحر أرضا كأنه كبش عيد قبل العيد بشهرين ، و هكذا ينحر على دليل مبني على الظن..

هل هذا هو حل برأيكم.. !

حز هذا الكلام قلب خالد:

ـ وكلي الله يا جدة.. !

ـ بديش أوكل حده ، حلوا عن ربنا ، و إذا غلطوا من بنتكم هذيك الأيام ، هون السالفة بتختلف يا جدة ، مش عيب تمزح مع مرة بعمر قبور الحارة.. !!

أقبل خالد إليها يريد أن يقبل رأسها ، رأسها الذي طوي فوقه عصابة و في كفوفه مناديل شريفة قد مسحت بها الكعبة عندما حجت إلى بيت الله الحرام..

أبو صياح الجار الفقير الذي لديه ثلاث بنات بعمر القهر و الفقر ينحر من أجل دليل مبني عن ظن رجل أعوج ، أمسك أهل الحي بأبي خالد حتى أتى الباشا مع مولانا مع رئيس قسم الشرطة..

رمي بالسجن..

السجن للرجال ، الجريمة جريمة شرف ، رجل متزوج أعتصب أخته أو لعلها برضاها ، تحققوا من الأمر ، و بالفعل كانت فتحية جالسة مع أم صباح في الزقاق الشرقي للبيت تحت شجرة التين..

التين و الزيتون و الشماء و الأرض و أم صباح و أبناتها الثلاثة و الجارة أم رماح و الجارة أم جعفر و بائعة المثلجات تشهد على أن فتحية لم تدخل بيت أم صباح بل بالفعل كانت معها جالسة أمام البيت يتسامرن..

أغلقت القضية و ألقي أبو خالد في السجن خمس سنين و أخرج من بعد دفع دية و صلح و منسف عليه لحمة و لبن و انتهى الأمر..

الضمير يجلد و يذبح ، يجلس على قبر أخته فتحية من بعد أ، عمر على قبرها مقام معروف بمقام الشريفة..

إنه مقام الشريفة الذي تحج إليه النساء عندا دخولهن إلى المقبرة ، تدخل المرة العانس تريد الزواج ، أنثى لم يمسها رجل ، تطوف بالمقام و تشعل البخور و تزغرد لصاحبة المقام كي تمنح البركة..

يقال في أثر الجدات الحاجات إلى مقامات أولياء الله الصالحين ، ما زارت أنثى قبر الشريفة وكانت عانسا إلا زوجها الله لمن تحب..

و إذا تحب يمكن أن ترى شباك المقام كيف معقود بالخرق و مدهون جدرانه بالحناء و الريحان ، و رب راض غير غضبان..

إن الله يغضب لأولياه..

و الأولياء يطاف بهم هنا و هناك و يتداول ذكرهم و يبهر أسمهم و يرفع مقامهم و يبجل ذكرهم و يضرب لهم بالدف و يستأنس عند قبرهم..

إنه ليس مجرد مقام ، و ما إن ذهبت إلى تلك المقبرة حتى وجدت ذاك العجوز جالس أسمر مبتل بالعرق و مصبغ بالوجع ، يفترش عتبة المقام بكله و ينادي المدد يا مولانا المدد..

أمد الله عمره سنة أخرى على هذه الحال..

يبكي فعلته التي فعلها ، و يشق الثوب حتى جن الرجل ، الجدة لم تنسى تلك الحادثة ، دعيت إلى ليلة مغسل فتحية ، الليلة التي سوف تدفن بها بعد صلاة المغرب ، و من بعد ذلك تدفن في مخلدها:

ـ أقعدوا يا جدة..

تروى الجدة لي و لخالد ليلة المغسل ، العجائز و الجميلات و ربات البيوت و البنات و المطلقات و الأرامل و هلم جرا جالسات في إيوان المختار في صحن البيت ، و فتحية مسجية في فسحة البيت متجمد كل شيء بها..

الحناء المرشوقة على فخذيها ، الدماء المنحسرة في حلقها ، ابتسامتها و الانتصار الأعظم الذي برأها من ظن أخيها بها ، دموع عالقة في مقلتيها ، ثوبها الأخضر الذي ترتاد به أعرس الحي ، و خلخال من فذة ورثته عن أمها..

تغسل فتحية بماء الورد و الزهر ، و النساء حولها مخمرات بالسواد و الضباب ، و ترفع الحاجة أم رواح الدف لتضرب به:

شريفة يا شريفة..

عرسك الليلة اليوم يا شريفة..

الله برأك من السوء يا شريفة..

أنت يا فتحية مولاتنا الشريفة..

و دفنت في أعلى التلة من المقبرة المطلة على مدينة الظلم و الظلام ، خرج خلف جنازتها أهل المدينة يبكون هذا الحدث الجلل..

و لكن التراب هنا قد التهمها و شبعت موت..

إنه الموت يسري على قلب أخيها ، ينهش ضميره و يبدد ليله ، تأتيه فتحية كل ليلة في المنام ، ترقص على جثمانه الممدد و تهدده بأن الله سوف يسلب من قلبه الراحة..

إنه هنا متوسد كل ما تريده فتحية ، و لكن فتحية أشرف من أن تؤذى في مقامها ، إنها لم تعد تحب ذاك الذي يدعى أخا ، ذاك الذي يحبها و يغار عليها و يرفع من مقامها ، و لكن الله كرمها بمقام أكبر و أعظم من كرم أخاها إياها..

إنه مقام شريفة..

و أبا صباح قد فرش فوق تراب قبره الزعفران و الريحان ، و الله وحده أعلم كيف حال تلك الأرواح المهاجرة..

عليك أن تهاجر و تهجر كل ما يحيطك من ظنون ، عليك أن تقف مع ذاتك قبل أن تسل لك نفسك بالظن و القال و القيل ، عليك أن تجلس تحت الليل مع الجدة كي تسمع إلى حكايات الجناة..

خالد يهز برأسه:

ـ كنت أمزح معك يا جدة..

الجدة تمسك بمسبحتها التي صنعتها من بذور الزيتون:

ـ ما في أشي أسمو مزح ، أنا أكبر من جدتك كريمة الله يرحمها ، و كريمة بعمر أولادي ، و لو كريمة كانت حاضرة كنت عرفت قيمة المرة يلي قاعدة قدامك..

كان خالد ينوي أن يهم بالرحيل إلى البيت ، لعله تلقى درسا عن ما حدث مع أبيه و عمته فتحية ، لعل الله قذف في قلبه النور كي يعم في قلبه السرور ، لعلنا نحن جزء من تلك الحوادث و لكننا بطريقة أخرى ، علينا أن نقف قبل كل أخرى كي نصدق أننا لن نكون هنا مرة أخرى..

ـ على وين رايح ؟..

ـ على الدار!

دقق جيدا..

و لو أن هذه الكثبان البشرية استخدمت ما يسمى الواقي الذكري ! ، هل كانت الدار هنا أو بلغة صريحة هل كنت أنت هنا.. !

الدار متوسدة على تعبها ، انطفأ نور حجرة والدي ، انتهى درس الجلد من بعد تعب ، و لكن هناك المرأة التي انهارت على حلمها هل كانت تحلم بالحب يوما ، يوما ما سألقن ذاك الإقطاعي درسا لا ينساه أبدا..

كانت له بنت تأتي كل يوم أربعاء إلى الحقول ، كانت تلك الأنثى كأبيها بالضبط ظلما و شكلا و مضمونا ، كانت تعامل الفلاحين بكل قسوة و بلا أية رحمة ، تتفقد الحقول حقلا حقلا ، و كما يقول المثل لا يعجبها العجب و لا صيام رجب ، و لكننا في شهر رجب و في يوم الثلاثاء بالضبط ، أريد أن أقتص منها و من أبيها..

أبيها ، أخ منه من شيطان.. !!

وددت لو أنه ذبابة و دسته بقدمي لقذارته ، و لكن ميزان الصمت هنا هو لقمة الخبز ، لقمة الخبز التي لا ترحم و لا تخلي أخد يرحم أبدا ، مبتدأ بالذنب و النصب ، نحن البغال أبناء البغال كما كانت تقول لنا تلك الأنثى التي أنفها بحاجة إلى فرم بالماكينة الناعمة و رميه للكلاب..

نحن البغال الذين سمحنا للكلاب بأن تركب علينا و تهش خطانا و تتكأ على صبانا و لها بنا مآرب أخرى.. !!

كيف لي بأن آخذ حقي من أصحاب هذا البلاط الترابي الذي أستعملنا في الحرث و جعلنا شأننا مساويا للروث ! ، كيف كانت و بل كيف لا زالت تنام هذه الأدمغة المنهكة و الأجساد المتورمة و الأكف المتعبة.. !!

كيف ينام من مست كرامته!

يا حسرتي على كرمتنا ، يا حيف على نخوتنا ، يا تعاسة أفعالنا القذرة ، و لكن ممكن أن يحشرك فكرك الضيق في زاوية صغيرة جدا و يجلب لك الأفكار القذرة..

لم تولد الأفكار القذرة عن عبث ، هم أوصلوك إلى هذا المنعطف من الانتقام ، هم الذين فعلوا منك شبحا ترعبهم ، هم و أنت في كفة هذا العالم المائل لصالح الجبناء الذين يستعملون الناس عبيدا ، و أنت محكوم عليك بالعبودية حتى لو نصبوك ملكا ، هكذا قالوا عنكم العبيد أبناء العبيد ..

كيف سوف تلقنهم درسا.. !!

كيف سوف تضع وصمة عار على جبينهم ! ، و تجعلهم ممسحة الرأي العام و الخاص ! ، كيف لك أن ترسمهم وحوشا لكي يراهم هذا العالم على حقيقتهم!

هناك خيوط متعددة كي تدخل تلك الجرثومة إلى جسد تلك الأجساد التي تدعي القوة ! ، مثلا كالشرف ، الشرف هنا عبارة عن غشاء بكارة.. يباع و يشترى بالمهور..

و برضى الطرفين من البائع و المشتري و يسجل في سجلات الدولة و يبارك بفاتحة الشيخ و يضرب عليه بالدف و توزع الحلوى من غير أن يعرف رأي البنت ، و ربما توافق حياء و ربما تصمت دهرا يظن بأن السكوت علامة الرضى ، و لكن رضى حمل ابنة عمه على الخيل جاريا بها إلى سرير السفح و الشلح و السلخ لأن الأقربون أولى بالمعروف..

عندما يمر بمخيلتي ما يسمى الأقربون..

أشعر بالغثيان ، أريد أن أستفرغ كل ما في معدتي ، أريد أجمعهم في واد ليس له باب أو سرداب و لا سلم و لا حبل و أغرقهم بالنفط و الزفت الأسود ، على ما لاقيناه من ظلم و مظالم منهم..

ولى زمن و العافين عن الناس ، ولى زمن القلوب النقية ، تلك الأرواح التي لم نعد نجدها إلى في كتب التاريخ الكاذب الملفق..

نحن في زمن خذ حقك بيدك لأن هذا العالم أضحى رحى من نجس أن لم تدعس فسوف تدعس رغما عن أنفك ، و كلما تقدم بنا العمر و كلما زيد في الأذية ، كأنك أمامهم بلا مشاعر و لا أحاسيس ، كأن مسحوب منك جميع الحواس..

و هكذا خطط لهذا اليوم الذي سوف أجعل من أنف ذاك الإقطاعي عبارة عن معلبة تونه و أدعو عليها جميع أبناء المدينة ، و ها هم أبناء المدينة منتشرين في الحقول كأنهم خلايا نحل ، يعملون طوال اليوم و تحت أشعة الشمس المحرقة مقابل أجرة صغيرة لا تكفيهم ربع يومهم ، و لكن

إن لم تعمل فسوف تموت جوعا ، و إن لم تسمع و تطيع فسوف تمد يدك للناس ، و الناس لا يملكون ما يسدون به رمقهم.. !!

الثمن سيكون دما أو شرفا أو مالا..

الناس هنا تفتقد كل شيء ، الناس تأكل هنا كي لا تموت ، و عليك أن تعرف جيدا بأنهم ما ناموا و بطونهم ممتلئة لا و الله ، ليس تجبرا على نعمة الله بل في الحقيقة لا يوجد ما يكفيهم من طعام..

الناس هنا مفهوم الشرف مختلف جدا ، مفهوم لا يرحم أبدا ، مفهوم ليس لماهيته ماهية ، الشرف قطع لحم خفيفة بين أرجل النساء ، و إن مست بغير أن تباع و تشترى من قبل ولي الأمر و المشتري فسوف تسيل دماء رجال لا دخل لهم في مسمى معركة الشرف ، إنها معركة ذات الفروج..

الناس لا يفكرون بالمال كثيرا ، لأنه حلم كبير ، كبر من هذا الكون و المجرات و المؤامرات ، المال شيء مقدس لا يستوعبه عقل ، لا غني هنا بين هذه الأكوام البشرية ، لا غنى نفس و لا غنى مال ، و لا أحد يفكر و لا يحلم بأن يكون لديه مبلغا جيدا من المال ، لأن هذه الأشياء مجرد حلم..

و الناس هنا لا تستطيع أن تحلم ، لأن التعب جلدهم جلدا بسوط الفقر و البؤس و الفقر و الجوع ، الأحلام ليس لنا أبدا ، لأنك لو دققت بها ستعرف بأنها مجرد حلم صغير ربما يستلذ به الإنسان لحظة و ربما يغزوه ككابوس يقلب رأسه عقلا و عقله رأسا..

و لكنك في مدينة محرم عليها الأحلام فعليك أن تنتقم من كل شيء ، و حتى تنتقم من نفسك و تقاضي أهلك لأنهم أنجبوك لتكون عبدا لمن لا يستحقون العبودية ، أنت تستحق أن تكون جبارا في الأرض و خوارا في الحروب كي تصمد أمام موجة الاستعباد..

هم جعلوا منك شخصا كما يريدون هم ، و أنت رضيت أن تكون وحشا ليس من أجلهم ، بل من أجل أن تنتقم لنفسك المقيدة بسلاسل العبودية ، و أنت الآن تقف أمام موجة الضباب الهائل كي تختبر المكان و الزمان ، أنت تريد أن تقف على قدميك كي تعلو و تعلو ، و لكن هناك شيء يجب أن تتوخى الحذر منه كي تنجو بفعلتك التي ستفعل..

ـ خالد !؟

ـ حبيبي كريم..

ـ محتاج واقي ذكري!!

عدل خالد من جلسته مستهزأ بكريم ، حاول خالد أن يضحك و لكن لم يفعل لأنه يريد أن يعرف ما هذا الطلب الغريب ، لعل كريم أقتنع أن يبحث عن ما يسد به جوعه الجنسي:

ـ ليش الواقي الذكري!!

دقق جيدا..

و لو أن هذه الكثبان البشرية استخدمت ما يسمى الواقي الذكري ! ، هل كانت ريتا هنا أو بلغة صريحة هل كنت أنت هنا.. !

ـ أريده بالله عليك..

و بالفعل أحضره له من غير أن يسأل ، و لكن كان خالد يعرف بأنه لن يجرأ كريم على فعل أية شيء ، لأن كريم أجبن شخص في هذا العالم ، و الحق يقال ، و لكنه أيضا أقوى مما يتصوره عقلك..

ريتا ابنة الإقطاعي الكبير ، تأتي كل ثلاثاء كي تصب غضبها على عمال الحقل ، يلمحها كريم بعينين كبركان الأحمر ، كشف دقيق لكل ملامس جسدها ، يترك فأسه و يذهب إليها مسرعا ، تراه يقترب إليها:

ـ شو يا حمار ، ليش تركت شغلك.. !!

ـ حاب أعملك كاسة شاي..

تستغرب لأمره و لكأن قلبها لان له:

ـ طيب كأن في بتمك حكي.. !!

ـ لا و الله يا ست الكل ، غير أنو نكرمك و باين عليك تعبانة.. !!

ـ طيب روح انقلع أعمل كاسة شاي لشوف..

يركض كريم إلى أحد الغرف التي يصطف بها الحطب ، هناك يصنع الشاي على الحطب ، لا خدم هنا سوانا نحن ، نحن الخدم أبناء الخدم و العبيد أبناء العبيد ، و لكنها لا تستلطف ما يصنع ، تشك بأمره و تلم

باللحاق به كي ترى ماذا يفعل ، يختبأ خلف الجدار ، و ما إن بان ظلها و دخلت إلى تلك الخرابة كي ترى ما يفعل حتى أمسك بطف يديها و سد فمها بخرقة..

تحاول أن تفلت سمكة القرش من بين يديه و لكنه صياد ماهر يعرف كيف يعيد لنفسه كرامته حتى لو خطأ ، حتى لو تحدثوا الناس عنه ، هو الآن لم يعد مهتما بكلام الناس ، الآن هو يمزق ثيابها بسكين يستعمل لتقطيع العشب ، تظهر مفتنها و لكنها يجن جنونها كأن سمكة القرش أخرجت من الماء و تقاوم كي تعود و لكن فات المعاد يا حلوة.. !!

ينزع ثيابه و يحاول أن يقبلها ، تعد وجهها عن فمه ، لأنها تستقذر هذه المخلوقات..

قام من مكانه و ربط قدميها كي لا تفلت الذبيحة ، و أخرج ما لا يرى إلا في يوم الزفاف ، و نزع الكيس من الواقي الذكري و راح يهز بكل ما أتي من ظلم في شرفها حتى أغمي عليها ، في الحقيقة هي لم يغمى عليها بل فارقت الحياة بسبب النزف الذي لم يتوقف ، و لكنه كريم ابن الكريم كان كريما في الحمل و التحمل..

برصاصة واحدة اخترقت رأسه سقط فوق جسدها ، إنه أبواها الباشا ، ركض الباشا إلى ابنته ، و ركضت الحادثة في المدينة ، و رحل كريم و رحلت ريتا و بقي الأثر و لم يبقى للباشا أثر..

خالد جالس فوق قبره:

ماذا فعلت بنفسك يا كريم..

إنه بطلنا الكندوم الذي أنقذ حياة كثير من الناس ، و لكن لم ينقذ كريم، لأن قتله كان خلف دائرة خطته..

كريم ماذا فعلت..

أتممت رواية:

كندوم شرقي

في بلد الحرية و الديمقراطية : النمسا ، في عاصمة البيانو و الكمنجة : فيينا ،

في مقهى Cafe J. Hornig مع غروب الأمل

الساعة : 00 : 03 ،بعد أن عرفنا الحب..

من تاريخ : 4 / مارس / 2019.